

سفارة الفكر والادب

بقلم وداد سكايني

يشمخ عصرنا الحضاري والفكري الذي نعيش في اطواره التحررية ونياراته المتضاربة ، بتلاقي الشرق مع الغرب ، وتمازج الثقافة بينهما على اختلاف الوانها وفنونها ، ولا ريب في ان رواد التطور والتجديد في نهضتنا قد سبقوا الى سفارة في الادب والتدريس والصحافة قبل السفارة الدبلوماسية سواء منهم الذين كتبوا بلغات الغرب شعرا ونثرا ، ام الذين علموا العربية في جامعاته ومعاهده او نقلوا لقراء الفرنجة روائع من تراث العربية واصولها ، كما صنع امين الربيعي في نقل قرر من ادب المعري فسي لروميته من لغتنا الى الانكليزية ، ومثلما كتب جبران حبل جبران بهذه اللغة نفسها بعض مؤلفاته ، فكان ابداعه فيها سبيلا لشهرته العالمية ، ولا تزال بعض المواهب العربية وبخاصة اللبنانية تفيض ثروغا وفنا فسي لغات الغرب ، ويقرأ الناس آثارها متشوقين الى مطالع الشرق وتوتن طبيعته وعلامحه منذ عرفوه في « الفلبلة ولبلة » .

وكان للششرقين من العلماء والفكرين بسواد الفضل والسبق في نقل التراث العربي الى لغاتهم مع صعوبة اللغة العربية التي تعلموها بآداب وشوق ، ولقد سبقت اكثرهم نطق الفاعل والفتغل في اسرارها وبلاغتها وان عاشوا بين اهلها ، لكنهم تفوقوا بالدراسة المنهجية والخطة العلمية ، وكان « كارادوفو » في مجلدانه « مفكرو الاسلام » من اسبق الفاتحين لهذا الباب .

وقد غاب منذ قريب عن عالم الفكر والتراث المستعرب الكبير « ماسينيون » ، الذي نقل الى لغته الفرنسية آثار التصوف الاسلامي ، ووقف عمره وعلمه في التاليف والتحقيق على الدراسات المتعلقة بهذا التصوف ، مثلما عرفته الجامعات الغربية والعربية ومجامع اللغة محاضرا ومشاركا في البحوث الشائكة عن طوائف متفرقة او متصوفة .

ولو عدنا الى تاريخ التلاقي الفكري والثقافي بين الشرق والغرب لنلمسنا في تضاميه تأثير ادبنا في ادب الغرب ، وقد تناوله بالتفصيل كثير من المستعربين فسي دراساتهم ومؤلفاتهم ، وفي كتاب المؤلف الباحثة « روم لاندو » صفحات مشرقة ، شرح فيها دور العرب قسي الحضارة ، مؤيدا اثر اديهم القديم في ادب الغرب وثقافته ولا ابعد في التقصي والتأويل لأشهر من قريب ومن بعيد الى الاقتباس والمحاكاة فيما وجدنا من الصور والقيسم

الانسانية العربية في اثار كثير من الروائع العانية ، وفي اعقاب العصر الفايبر كان للبعثات العلمية والفنصيلة فسي بعض آفاقنا وعواصمنا دور كبير قام به رجالها ونسائها على مسرح السياسة والمدرسة ، فقد اهتم بعضهم بنقل التراث الاسلامي والعربي الى بلادهم وخزائن كتبهم والتطواف في بلاد الشرق لجمع المخطوطات والذخائر الفنية والوثائق التاريخية ثم حشدها في مكاتب الغرب ومتاحفه ، ولان لادباء الغرب الجوالين رقد ملحوظ لهذه الامور التي كانت منابها في ارضنا وديارنا ، فقد وفدوا عليها تواقين الى تفهم حياتها وحضارتها القديمة والحديثة ثم عادوا بانطباعاتهم وذكراياتهم التي فتحت لهم منافذ واسعة في ادب بلادهم وامجادها ، وكان من هؤلاء المستطلعين « دور جيلس » الذي الهنته دمشق راسه المشهورة « قافلة بغير جمال » ، والكاتب « بيير لوتي » الذي خدم البحرية في بلاده وعاش مدة على ضفاف اليوسفور حيث استوحى مورا شرقية لتقصه ورحلانه ومن عجب ان لا يلحظ ادياء العرب ما لاحظ الروائي الاديب « شينكلي » الذي قال : ان المساجد الاسلامية ابت في حضارتها الا ان تلبس الى راسها رداء البداءة ، فكانت لها قباب تشبه الخيام ...

هذا وصف دقيق جاء به كاتب من الغرب مشهور ، فكيف فات اديارنا هذا التشبيه الذي يادد اليه الغريب بعينه تجد في تاريخ ادبنا ان النافذة الديبائي كانت تنصب له قبة من ادم في سوق عكاظ فيجلس تحتها للحكيم بين الشعراء وبيان اقدارهم وخصائصهم في نقد شعرهم وتقويمه .

فالفكر والادب في السفارات العربية والاجنبية قديما وحديثا رفا كل وعي وتطور في الحياة والمجتمع ، وفي شتى الصلات والمؤثرات التي لم تنقطع منذ القرن السابع عشر حتى عصرنا الذي تجددت فيه الروابط واشتدت ، وان تكن المنازع العلمية والمادية شادت ان تقلل من شأن الادب ، وهي تعلم انه احتوى قيم الاثار الانسانية والوطنية ، ولولا لبقيت مهلة جامدة لا تدخل البحث والتاريخ ، بل لولا سفارته وعنايته بشؤون الوعي والتطور في هبات الغرب للحرية والسيادة القومية لما تجاوزت صيحات الرواد في هذا المجال ، وبخاصة بعد جلاء الحكم العثماني الفاسم عن بلادهم واقتحام الاجنبي عزتها في استقلالها غصبا وباشتات الاسماء والاسباب ، فالفكر العربي الحديث والادب الصادق كانا وراء كل حركة ثورية او انتفاضة متجددة متوبة للنضال والكفاح ، وكان القدر قد رصد لانبعاث الامة العربية وتحريرها مما عوق نهضتها وسيادتها اقلاما ومنابر تهتف للهبة الكبرى والوعي الشامل ، على ان تستمد وتزود بالتعليم والتربية ومقومات الحياة البانية العادلة ، فكانت سفارة الفكر والادب في النصف الاول من هذا القرن حافز التلاقي والتجاوب في القريب

جديدة للتعريف جهده بتوايح الفكر والأدب في مصر ولبنان وبعض البلاد العربية من الذين طال جهادهم في التأليف والنقد وقدموا كتباً صادقة الشعور والتعبير قرأها الناس في الشرق والغرب معجبين بموضوعاتها الإقلاسية والعالية

أما « مختارات » الأستاذ الفراء كبير الشعراء السويديين فقد زادتنا دلالة على أن أدب تلك البلاد الثلجية النائية تفره البرودة والسطحية ، لكن سفرنا السابق فكاننا التعليق عليها بقوله : إن للسويد من صناعاتها الإلكترونية ما يفنيها من نظم القريض ...

وأما النثر الذي أعجبه في أدب تلك البلاد الشمالية فكان برأيه متمثلاً في رواية الكاتبة السويدية « سلما لاغروف » وربما قرب أدبها إلى نفسه كما قال هو أنها حازت جائزة نوبل في الأدب ، فكانت بحسبان المرأة الأولى والوحيدة التي حصلت على هذه المكافأة السخية ، وقد عد رايها من الأدباء العالمية ، لكن الأستاذ الفراء رجع إليها بعد سنين وزار « فيرملاند » التي جعلتها أطراً لأكثر صورها وحوادثها ، ففوجيء وهو يقرأ الصفحات الأولى بأن الرواية لا تثير إعجابه هذه المرة ، فأغلق الكتاب قائماً باطلانه الأول على الطبعة الأولى ، على أن الطير السابق قال إنه لا يدري إذا كان كره السنين هو الذي بدّل مقاييسه وأحاسسه أو أن ذوقه الفني ونضجه الفكري هما اللذان غيرا رأيه الأول ؟

أما قوله بأن « سلما لاغروف » هي الأولى والوحيدة التي حازت جائزة نوبل في الأدب فيفتيه الواقع إذ أن الأولى أخذها من أربع أدبيات ظفروا بهذه الجائزة العالمية وهن السويديتة لاغروف والإيطالية « جرازيا ديلازا » والأميركية « بيرل باك » المشهورة ، والنرويجية « سيغريد أندسيت » والأستاذ الفراء مشكور فيما كتب عن أدب السويد فلا تجنني عليه أو اتحيص اختياره ، لكني ذكرته بصدد الآمال المعقودة على سفراء الفكر والأدب ممن انتقوا اللغات الأجنبية والدبلوماسية ، فهؤلاء تترجى منهم المشاركة في التعريف بأحسن ما في بلادهم وتراثها وفنونها ، لعل المعلمين بهذا الشأن أن يخفوا من تفاخيس منسا وتجاهلهم ما وصل إلى بلادهم ومكتباتها من نتاج أدبائها المعاصرين الذين نقلت آثارهم إلى كثير من لغات الفرنجة وفيهم من يستحق جائزة نوبل التي لم يبق طلعها أدب عربي حتى هذا العام ، وأما الذي ترجم من الكتب العربية النافذة إلى الأجنبية فقد أدخل الضيم على أدبنا عند الغرباء .

ومهما تكن الدسيسة والضيعة في تنقص المؤلفات العربية الماثورة وإدعاء الأعداء بأنها لا ترقى إلى مصاف الآثار الفكرية والأدبية التي حازت تلك الجائزة ، فإن نقل ما يدور حول هذا الموضوع ينبغي أن يتردد في صحافة الغرب وثقافته ، وإن تصدىق التحاور فيه متمرسون بالأدب واللغات وسدادة المفكرين في البلاد التي عاشوا

والبعيد ، وفي شتى المحن والخطوب التي أصابت البلاد العربية من جراء التخلف والاستعمار ، وقد شددت هذه السفارة بإقلامها الحرة وصحاتها الأدبية الأواصر والعلاقات بين الجيران والأخوان ، وكان التاريخ واللغة والعقيدة عماد هذا التجاوب الروحي في أرجاء العرب لجمع شملهم وتسديد خطاهم بعد أن كان التلاقي في البحوث والدراسات مقصوراً على المختصين والمشتشرقين وقد غدا القارئ العربي الحديث تواقاً للوقوف على أحدث ما أبدته المواهب العربية والغربية ، بل لم يكن هذا جديداً ، فإن رواد الفكر العربي المعاصر وإعلام التجديد والنقد قد بذلوا أضخم الجهود في تأليفهم وآثارهم أو في ترجمة الروائع العالية عن لغاتها ومصادرها ، ومنهم من وصلت مؤلفاته إلى الغرب في نطقها إلى نتائج الحديث ، فكان الأدب بانسانيته وروعته سبب الوصول والانطلاق ، وما يحمد نخبة من أدبائنا المتفوقين والسابقين تلتفت العالم لأدبنا الحديث فيما ألغوا وقدموا من كتب قيمة نقل أكثرها لغة لغات ، لكنها للدسيسة العنصرية والصهيونية لم تلق جوائز الجوامع الغربية الكبرى التي تدعي أنها إنسانية عالمية في المكافأة والتقدير .

وكانت العبرة الأخيرة فيما منحت « نوبل » في العام الماضي يهوديين من إسرائيل والمثاليات كاتفتها بجائزتها ، لأن أدبهما جاء معبراً عن هدف الصهيونية وفي نطاق تعاليمها الدينية وباللغة العبرية فدلّت هذه الجائزة الموصودة فخرها غايتها على الحكر والتخيز ، وأيدت حجة الأدبيات العرب فيما رددوا بمقالاتهم عن جائزة نوبل وكيف تحولت التعصب والتصف في مقمورين شغاف في أدبهم وآثارهم ، أو إلى مشهورين يتلفهم ويستويهم ، فهل تكون هذه المبالغة التقديرية حافزاً جديداً لمضاعفة الجهود العربية في التعريف بأدبائنا الموهوبين المتمكنين ومؤلفاتهم القيمة ، ولعل السفارة الفكرية والدبلوماسية تقوم بهذه المهمة في الأفاق الغربية ، وبخاصة إذا كان ممثلوها من ذوي المعرفة والبيان ، وقد عرفنا منهم شعراء وكنا بل نشين لاكثرهم مشاركة نشيطة أو جزئية في هذا الأمر .

ولئن رددت القول إلى ما قرأت في مختارات الدبلوماسي السابق الأستاذ جمال الفراء لشعر السويديين وكبير شعرائهم ، فإني كنت أتمنى بدلاً من نقله تصادج ومنتخبات إلى لغتنا ، أن لو صنع سفيرنا المفكر عكس ذلك ، فعرّف المثقفين هنالك والمسؤولين ببعض المؤلفات العربية التي تقف جنباً إلى جنب أمام مؤلفات الدرس حازوا جائزة نوبل في الأدب ، وقد عاش الأستاذ الفراء مدة في بلد هذه الجائزة وأكاديميتها ذات الحق في التقدير والتكريم .

ألم يكن الأجل والأفضل أن يصطنع السوانح ويبداء إلى الكتابة والمحاورة ، وهو التقدير فيها فيسبق ابتداءه إلى السفارة الفكرية العربية ويؤدي فيها رسالة

الروضة التي عسفتها

الى العالمين بالسعادة القاريين في الخيال

* * *

الى روضة كنت اغني حولها
اهيم ما بينن رياحين بها
خمر فلا لون ولا طعم لها
فتنت في طروقها كل ضحي
اما الفراشات على اوراقها
احرق في النهار والليل لها
انقل الطرف فتاتيني الروى
من كل غداة خيال ترمسي
تلهمني الشعر فاشدو بالنسي
وحدي بلا كاس ولا اليف

و ذات يوم جئت مشتاقا لها
فهز اعمالي وادسي خاطري
وقفت استنسى عين ذبولها
وبعدما صعدت انفاسي بها
بعيا - الهند

احمد محمد الخليفة

او يعيشون فيها ، وعلى الدأب في هذه التوجيه والتعريف
يخف ضغط الناقمين والمتربصين لأنارنا في موضوعاتها
الانسانية والحضارية .

ومن يدري قريبا منح جائزة نوبل احسد الافذاذ
العرب من المفكرين والادباء فبدا له ان يرددها كما ردها
سارتر او تحفي الاكاديمية السويدية مقعورا من الكتاب
والشعراء ، وفي هذا الامر اشارة الى انها عائلة بادنسا
الحديث او مصررة على التحدي ، وهي في الحقيقة غير
جاهلة او غافلة من شكوى العالم واتهامه للجنة الحاكمة
باهمال العرب الذين خلدوا تراث الانسانية وشاركوا في
بناء حضارتها وقد اعترف لهم بالفضل والسبق اعلام
الفكر والحرية والمعرفة في قديم الغرب وحديثه ، وان
العرب لا يزالون يمدون التراث بآثارهم العالية التي
فرشت وجودها وقيمتها على قلنتها باللغات الاجنبية ،
وقد شاع ذكرها وموضوعها في ادب العالم وعاش عليها

جيل بعد جيل .
ومهما يكن الامر ، فان السفارة العربية بالفكر
والادب والصداقة والدبلوماسية في آفاق الغرب وعواصمه
ومعاهده مدعوة للمشاركة قدر الطاقة والساحة في هذه
القضية التي تخوض الاقلام العربية في ملابسها وما
يدور حولها كلما منحت جائزة نوبل لاديب كبير او خامل
مفقور ، ويوسع هيئة الامم التي انشئت لخير الانسانية
والحضارة ان تنشيء جائزة عالية لتواكب الشرق والغرب
على السواء ، فقد تستمد وهي في حيرتها السياسية
من الفكر والادب قوة وبدادا ، ولعل جامعة الدول العربية
تبادر الى رصد جائزة كبرى لمن تراه جديرا بها من ذوي
النتاج الفكري والادبي الذي يحتوي الشروط والقسم
وتحقيق الهدف في بلادها المتطلعة الى العدل والانصاف .

وداد سكاكيني

دمشق

أضواء على الأسلوب الأدبي

بقلم حسني سيد لبيب

قديمًا قالوا « الأسلوب هو الرجل » .. أي أن كل كاتب له أسلوب يتميز به عن غيره ، وذلك لامر بديهي وبسيط ، وقد يتطرق بنا الحديث - في البداية - في علم النفس وربما علم الاجتماع أيضًا ، حتى تقوم بتفسير تلك العبارة ذات الإيحاء القوي ، والإيجاز البليغ تفسيرًا صحيحًا .

إن كل كاتب - واعي إنسان - يخضع لعوامل نفسية تختلف اختلافًا بيننا عن تلك التي يخضع لها كاتب غيره . ومن ثم تكون له تلك العوامل النفسية صورة مستقلة خاصة به ، أضف إلى ذلك تأثر البيئة على الفرد ، وكذلك التكوين الاجتماعي لأسرته .. كل تلك المؤثرات تجعل الكتاب يختلفون ليس فقط في الأسلوب الأدبي ، ولكن في طريقة التفكير ذاتها ، إذا نحن أدخلنا عامل الثقافة وتنوعها .

ولست ادعي أنني سأضيف جديدًا في أساليب الأدبي ، لأنه موضوع قديم ، علاوة على « كلاسيكيته » وعدم مرونته إذا نحن طرحناه كقضية أدبية ذات إلتزام ، ولكن قد يكون هناك جديد مفيد ، إذا نحن اطمعنا على قول الأستاذ عادل كامل بأن « الأسلوب فكرة قبل أن يكون لفظًا » (١) . ورغم أنه قد مضى عليها غير قليل من السنين ، إلا أنها تعكس مفهومًا تقدميًا . فليس الأسلوب مقصودًا لذاته ، وإنما يأخذ صورته التكوينية من الفكرة التي يتضمنها . وقد يختلف أسلوب كاتب ما من موضوع لآخر ، لكنه اختلاف هين يسير ، لأن هوى الكاتب فسي أطره الشامل قد يتغلغل على موضوعية التفكير . وبذلك نستطيع - ولو أنها استطاعة محدودة - أن نعرف على الكاتب من أسلوبه . وإذا افترضنا صحة هذا الزعم ، ثم حاولنا أن نقرأ هذه الصحة ونمشاها فلن نجد تناقضًا بين أن يكون للكاتب أسلوب متميز وبين القول الذي أبتناه بأن الأسلوب فكرة قبل أن يكون لفظًا .

فأسلوب الكاتب يتحدد من طريقة تفكيره ، أي انتظام الموضوع في ذهنه . وهذا التحديد يأتي في تسلسل منطقي ، ويخضع - كما قلت آنفًا - للعوامل النفسية والبيئية والاجتماعية والثقافية . وقبلما يشد الكاتب على هذا التسلسل المنطقي الذي يدخل فسي أطار طبائع الإنسان ، والإنسان يصعب عليه تغيير طبعه إلا بتقادم

السنين ، التي تضيف إلى تلك المكونات لشخصيته ، بعدا آخر هو الخبرة التي تأتي بتقادم الزمن ، وما في ذلك من مران ومحاولة لتغيير المفاهيم التي وعها كحقيقة ثابتة .

وعلى هذا ، فإن طريقة التفكير ذاتها تحدد أسلوبًا بعينه يميز شخصية الكاتب ويبرز ملامحها . وإذا حاولت أن أوجز هذا التحليل ، أستطيع أن أضع حقيقة أخرى لا مجال للشك في صحتها ، وأظننا جميعًا متفقين على تلك الصحة .. وهي أن الألفاظ لا تجري على اللسان أو تتطرق إلى الذهن ، إلا لفكرة تريد أن تخرج .. فكرة تولد في الذهن ، ووسيلة إخراجها هي التعبير . والتعبير في حاجة ملحة إلى أداة تعطيها الصور الحسية الملموسة ... تلك الأداة هي اللفظ .

فالفكرة تولد في نطاق الذات ولا تتعداها .. ثم يستظهرها اللفظ صورة واضحة بيئة للآخرين . والأسلوب ما هو إلا مجموعة كلمات تتركب في صورة معينة لتكون جملاً .. ومن مجموع الجمل تتكون الفقرات التي تكون أعمدة بارزة للموضوع المطروح . وهذا التركيب يختلف من إنسان لآخر - كما قلت - حسب طريقة تفكيره ، وبسبب تلك الأفكار في مخيلته . ومن ثم فليس هناك أي تناقض بين أن يكون للكاتب أسلوب يميزه ، وبين أن تكون الفكرة سابقة على اللفظ .

لست أحاول تقديم جديد في هذا المضمار ، لأن الموضوع الذي أعالجه - كما قلت - موضوع قديم ، وقد عولج من قبل مراراً . وربما في هذه الفقرة من حياتنا الأدبية ، قد تخلصنا من أسرار اللفظ ، وتعدينا إلى الجوهر الأصيل وهو الفكرة .. وبالفكرة وحدها يكسبون أدبنا حياً ، ثم يأتي اللفظ - كوسيلة فقط - للتعبير عن أفكارنا الأدبية .

والذي أعنيه بهذا المقال ، هو التأكيد على أن الفكرة وحدها هي التي تقيم أساساً متيناً للأدب الحي الذي يكتب له الخلود . ويدفعني هذا التأكيد إلى دعوة الأدباء إلى تبني الشكل اللفظي والتحرر منه ، وأن يكون همهم الأول هو المضمون والفكرة الحية .

ولكن اهتمامنا بالمضمون لا يجب أن يصرفنا عن صحة الأسلوب التي لا بد منها لكل من يمارس الكتابة ، ولا يمكن أن تخلق فكرة جيدة بأسلوب مهلهل سقيم .

إن سلامة اللغة ، وصحة الأسلوب ، هما البداية الحقيقية للأدب الفنان .. ليس هذا فحسب ، وإنما استطرد بحديثي إلى موضوع آخر هو الصدق الفني ، وهو موضوع طويل لست أبغي الخوض فيه في هذا المقال ، وإنما الذي يعنيني منه هو علاقة هذا الصدق الفني بأسلوب الكاتب . فكلما كان الكاتب صادقاً صادقاً فنياً - وهو غير الصدق المطلق - مع فكرته ، ومخلصاً لها ،

كان له أسلوب واضح جميل . فالإخلاص مولد فعلى للأسلوب الجيد ، وقد يشمل من المحسنات البديعية والعبارات الرشيدة الموحية ، ما تقدم على تدوقه واستيعابه وما يكون أشبه بسيمفونية موسيقية حالة تشبع النفس بروحها الخلافة . ويكون ذلك الأسلوب اعظم قدرا وأسمى منزلة من ذاك الذي يعتمد كاتبه إلى الشكل الأدبي ويركز فيه كل طاقاته ، التي لا شك تتبدد في غير موضعها ، ولا يتبقى له من الطاقة ما يستطيع بذله في التفكير الحسي الخلاق إلا اندر السبر الذي قد يغنيها عن موضوعه كلية ، ونفضل معه الراحة والهدوء .

بقيت لنا في الأسلوب الأدبي ما يسمى بعناصره . والحديث عن عناصر الأسلوب ليس الاستطراد ، واستيفاء للموضوع من جميع جوانبه . والذي يهمنا من تلك العناصر هو علاقتها بالكاتب ، فهل يضع الكاتب لأسلوبه عناصر معينة والتي حددها البعض وحصرها في ثلاثة هي : اختيار اللفظ وصياغته وموسيقى العبارة ؟

لا سلطان على الكاتب إلا سلطان الفكرة ، أو قل التفكير المبدع الخلاق . ويرغم أن طريقة تفكيره تكون ذات اتجاه لفظي ، فإن الأسلوب يتحدد في ذهنه حسب تناسق التفكير . ويكون لكل كاتب أسلوب ، هذا الأسلوب لا يحدده قبل الكتابة وإنما يصير مكملا لشخصيته . وعلى النقاد فحص نصوصه الأدبية واستظهار خصائص أسلوبه ، والتي لم يكن يفكر فيها قط . . . ونحن لا نستطيع تحديد شخصية الأدب تحديدا واضحا بعد فترة ما من تطورية الأدبي . . . ولكننا قد نحتاج إلى فترة طويلة يكون الأدبي خلالها قد وضع من المؤلفات الأدبية ما يشبع المدارس له (٢) .

وسأحاول - قدر جهدي - أن أتحدث عن عناصر الأسلوب الأدبي ، محللا كل عنصر . . ومدى تقيد الكاتب به ، أو مدى التزامه بخصائص معينة في كتاباته .

فن اختيار الالفاظ ، فما أحسن كاتباً مبدعاً سيجعل من اختيار اللفظ شيئاً ذا بال . وإنما اللفظ الحسن يفرض نفسه تبعاً لذوق الكاتب ومدى فهمه لأسرار اللغة ومواطن الجمال فيها . فاللفظ المناسب ، ينساب في سهولة ويسر ويفرض نفسه دون عناء لوعي .

وهناك عنصر مهم من عناصر الأسلوب ، هو صياغته ، فلا شك أن طريقة الصياغة الأدبية تحدد نوع الأسلوب . كما ترتبط الصياغة بعقيد الفكرة وأصالتها وأهميتها . فعقيد الفكرة قد يضطر كاتباً إلى التفسير وتتبع جزئيات الحدث والموضوع في سبيل الوصول إلى هدفه الكلي الناتج عن تجميع تلك الجزئيات وأرباطها ببعضها .

(١) - عادل كامل : ملخص الأثر - طبعة سنة ١٩٤٤ ، ص ٢٦ . (٢) - مجلة الأدب - أكتوبر ١٩٦٥ - من مقال « رسالة الأدب » لكاتب .

ونستطيع وصف تلك الصياغة بالاستطراد . وقد يداع العمق ذاته كاتباً آخر إلى أن يوجز التعبير مع القدرة في اختيار الالفاظ الموحية التي تفني عن سطور كثيرة مملّة ، وهي ما تسمى بالصياغة الجزلة . وقد يدع العمق كاتباً ثالثاً إلى الاستشهاد بأمثلة تؤيد أو تدحض الفكرة التي يتناولها وتلك الصياغة تقرب من الصياغة العلمية التي تعتمد على الدليل لإثبات الفكرة .

وتتأثر الصياغة أيضاً بمدى جودة الفكرة ، فالفكرة الجيدة تفرض الصياغة الجيدة ، وإن تبعية الصياغة للفكرة تجعلنا لا نربط بالصياغة لأنها تأتي طواعية فصي صورة مناسبة ، ما دامت الفكرة ذات أصالة وعمق فنيين وأصالة الفكرة تبعث في نفس الكاتب روحاً جديدة تحفره إلى أن يصوغ عبارات قوية ، والأصالة قد تعني الإيمان بالفكرة وما يشيعه ذلك الإيمان في النفس من مدلول قوي ، يعمل على توليد العبارة الموحية المعبرة . كما أن أهمية الفكرة أو جدواها يؤثر تأثيراً قوياً على اهتمام الكاتب وعنايته بالفكرة التي احتضنها أو قل للطريقة التي يصوغ بها أفكاره .

أما موسيقى العبارة ، فهي ترتبط برهافة الحس لدى الأديب الفنان ، ومدى تدوقه للموسيقى ، صلاوة على استكشافه لغزاً للغة واستظهاره أدق خفاياها . كما ترتبط موسيقى العبارة بالحالة النفسية التي يكون عليها الكاتب أثناء الكتابة .

نخلص من هذا كله إلى أن اختيار اللفظ وصياغته هما طائفتان للفكرة بلطفية كبيرة ، ولذا نجد أن هذين العنصرين قلما يستحوذان انتباه الأديب المبدع ، فهما باتان طواعية مع التفكير المبدع . أما موسيقى العبارة ، فهي مستقلة إلى حد كبير عن الفكرة . وقد يكون هذا العنصر حسداً فاصلاً بين الأديب الفنان المبدع وبين غيره من محترفي الكتابة ، حيث أن تلك الموسيقى ترتبط بالحس المرهف ، وهو خاصية مهمة بالنسبة لأي فنان مبدع ، كما ترتبط بالحالة النفسية له ، وهو ما يجعلنا نحس باختلاف موسيقى الأسلوب لفنان ما من نص أدبي إلى آخر . . وهو عنصر ذو إبداع نفسي قوي لسدى القارئ اللدونة . فالقارئ يكره أن يكون الفنان صورة مكررة ، يسير في كتاباته على وتيرة واحدة ولا يعمل على تغييرها ، ففي ذلك رتابة وإملال يشعر القارئ بعنف انتفاخ عنصر الخلق لدى الفنان . . لأن الخلق الفني يعني في المرتبة الأولى التغيير ، والتغيير تكون للعمل الفني صفته الحيوية التي تربطه بحياتنا ، تلك الحياة التي أليتها تجد في التفسير والتناقضات فيما بينها أصلاً ثابتاً تعرف به على كينونتها وإن لم نصل بعد إلى صيورتها .



الصوت الحزين

(رمزية من أجل الجرح)

يتلوى كالنأدب المحزون
مثل دمعي وحرقة كسجوني
قد تمثلت لي فهجت ظنوني
فقيثارتسي تيكسي حنيني
لشكاة فهل يطول رنيني
فاجاب المباح طلع جفوني
عذبتي وجن فيها جنوني
تمشت جياشبة في القرون
في شطوط مشورة في العيون
كل قلب على مشار الفتون
نبي سري بسكب هتون
رحمت اجتابه حفيف غصون
وهي لم تدرك سبيل الجون
عقري الخصال طيف فنون
بسموم فادرجت كسد فين
ولا فقص طسرة وجيين
واحلى من فائنات وعين
ملء ارض الكماة ملء العرب
في شتيت من الوهاد لعين
لست ارضاك في النداء الحزين

زكي المحاسني

من وراء الوجود اسمعت صوتا
قلت يا صوت فيك رنة دمع
اترى انت من صداي وحزني
وتسري لا يحسن اجمد او يح
ضج وجدي ولست اهدى سيلا
سال الليل عن هيامي وسهدي
وتغنست بقصتي ذات دل
بهواها من عهد عباد سلالات
مثل بحر امواجه تتلاقى
حير الروح جرحها فكاها
نورها في الوري يشع كالهام
ايسن غابت ؟ ولحنها عندليب
كيف نامت على الثرى مثل سكرى
شعرها كان بالصفائر يسبي
وبك يا ربح هل هبت عليها
لا ورب العلى فليس لها موت
ستعود العروس ، ابهى من الصبح
لبسوة همهمت واسد شراها
تتوارى اللئاب خوف لنالها
ايها الصوت عد الينا طروبا

دمشق

وهو يقهقه وقيلانه تضرر وجنونه
وعنفها وصدرها وهي تمنع وتصرخ .
ولم يكف سليم الخاطر بذلك ...
بل تقدم من الخادمة التي تضاحكت
وفتحت واستسلمت له وهو يدور
بها ويقلها وتلوذ بصدرة والغرفة
بهما تدور .. فالسيدة لبيبة لم تحب
زوجها ابدا ، فما كان ذلك الرجل
الذي لها الحريص على سعادتها .
كان انسانا مقامرا خليعا ماجنا .
وسلاحه في الحياة هذا اللسان
الزلق الناعم وتلك الطلاوة فسي
حديثه مع الناس .. كان انانيا يريد
ان يربح ويستأجر لبني شيء .. وان
يحصل على اية حاجة لا يهمل الا
الربح ويخسر ما يربحه دائما على
مواليد القمار . كان يعرف ان زوجته
لا تحبه فاعطاها الحرية لتفعل ما
تشاء . هكذا حصل على حريته
بالثل . وكان يبدو للناس انه اسعد
انسان في الوجود وكل من في المنطقة
كانوا يقولون انه ملاك قسي صورة
انسان . وخوفا ممن ان يبيع الملاك
ممتلكاته ويخسرهما على موائد
القمار او ان تعرض في المزاد العلني
سجلها باسم زوجته التي اسبغت
المالكة لعدة عقارات في الازقية ،
ومن جعلتها ، قصر تسكنه العائلة .
«وام محمود» كانت تقف عندحافة
بابها الخشبي عندما مسر موكب
(الملاك انسان) فيهاها برفق
مرددا : كيف صحتك يا خالسة
وتحسرت الكلمات في قم ام
محمود وزمت عينها وهي تردد من
قرط سرورها بكلمات مبهمة . كم
ودت ان تقبل يدي هذا السيد الذي
اسعدنا بالتيح . وهي فقيرة
مسكينة تلوذ بالكوخ ولا أمل لها
سوى عودة ولدها محمود . انها
متسمة مهملة ، ضالمة ، لا يعرفها
او يكلمها احد .. اما قسي المساء
وعندما تعود القطعان من المراعي
فستقبل خروفاها بالضحك والبكاء
وتحدثن بما يجول في رؤسها ممن
احاديث : اتري اين محمود الان ؟

يبدو انها تنضح بالطيب . يلاطف
كل الناس ويداعب اهل القرية
والقرى المجاورة بملح وتوادد لا تفتأ
تتردد على فمه . كان يراي كل
الترويين الطف وانقلب موظف دولة
عرفته المنطقة . احبه الجميع واخذت
الهذبا تردالي منزله فيقبلها وعبارات
الشكر والامتنان تذبذب على فمه
رفيقة متواضعة . تعلقت القلوب
بالموظف العبقري وانهاالت عليه
الدعوات وحفلت الالام بما له وطاب
ومضى سليم الخاطرس متبخترا
كالطاووس مزهوا بما يفعل .

وقد كان يقول لزوجته لبيبة
التي حضرت لزيارته اما اقل لك
انني ذكي . لسانني هذا احتل
القلوب واثار الى لسانه ويواسطته



يقلم رياض نصور

ساملك الدنيا . انني اديره كيفما
يتقضى واقع الحال ، واستطيع ان
اجعل الحفظ حلوا وبالعكس . لهذا
اعيش كالامير اندلذب وفق ما تشاء
المصلحة .. هذه سياستي . وهي
سياسة حكيمة وآله ... وتضحك
السيدة لبيبة مرتبة على كتف زوجها
مواقفة .

ويقطع دابر الضحك برقية وردت
من ولدها العزيز قسي الازقية
يخبرها انه نال الشهادة . وسر
سليم اكثر فاكتر لان الدهر يضحك
له وحمل لبيبة وطاف بها الفرقة



عندما ينفس الصباح ، وتزول
خيوط الظلمة عن الكون ، تنطلق
القطعان الى المراعي قسي سهول
جرايلس الشاسعة . ممن القرى
تتجمع في السهوب ترعى الكلا ،
وتتغو ، فتتصاعد الى السماء
سيمفونية رائعة تعرفها قيثارة
الطبيعة وتوقتها الحان الخلود ، فتاني
خلابة لايعتورها نساخ . هداء الراعي
يختلط بشغاء القطيع ورنين الاجراس
وهزير الكلاب وتداء قبرة حزين
يرافق ما تعزفه الطبيعة من ساحر
الموسيقى ورائع الغناء .

وتفتح ام محمود عينها ، رافعة
صوتها بالابتهال الحار ، وهي تطل
من باب غرفتها الطينية على الزقاق
الضيق ، وقطعان الخراف تسير
مسرعة من هناك والغبار يتصاعد .
وينضم خروفا السمين الجميل الى
القطيع فهي دائما تودعه في الصباح
لتستقبله في المساء والبسمة تشرق
على وجهها .

منذ سنة ودعت ابنها الوحيد
محمودا الذي سافر الى دمشق
لخدمة العلم . وسيظل محمود هناك
سنة اخرى يعود بعدها الى امه ...
وهكذا ظلت وحدها في البيت لا
يؤنس وحدتها الا خروفا الحبيب .
واقسمت انه عندما يعود محمود
ستدبح الخروف وستدعو الاهل
والاصدقاء الى حفلة كبيرة ، ستفني ،
وستاكل اللحم ، وستقبله وستعلن
للملائكة ستخطب له عروسة جميلة .
من يدري ؟ هل ستكون العروس
كاتبه سليم الخاطر . تلك الشفراء
القائنة التي راتها مع والدها وامها
ذات اصيل ، انها من المدينة ومن
الساحل السوري كما يقولون
طويلة ، رشيدة ، ناعمة ، قدما المياد
يتشنى بليس . ذات عيني براقيتين
وشعر اشقر يلفح حصول وجهها
المشرق . اما والدها سليم الخاطر
فقد كان قصير القامة يميل الى
البدانة ابيض الوجه مشرق الجبهة
يحيي من يراه بانسامة مشرقة

القلدوق

★

هضاب ما كروعتها الهضاب
واطواد سميت في الجو حتى
يحار المدلجون علسي رباهما
كاني بالتلال قد استدارت
فما القلوق الا صرح مجد
جنان الله في الدنيا ودار

تعلق في مناكبها السحاب
لتهلح من مزلقها المقاب
انار ما تلالا ام شهاب
كؤوسا والنجوم لها الحباب
يرف علسي خمائله الشباب
نبا أبدا على الغردوس بساب

وديع ديب

وهل سبحانه على عروس جميلة ؟
انرى اعيش لارى ولدي الوحيد
في كني ؟ استقبله وانشق رائحته
بملاء كياني ؟ اسيضمني محمود بيديه
القويتين ويقول لي يا امي بملء فيه ؟
ويصفي الخروف الى ام محمود
ويشفو ، فتضمه العجوز وتقبله
وكانها تقبل محمودا .

في المساء قرر سليم المخاطر ان
يسافر مع العائلة الى اللاذقية
للاحتفال بنجاح ولده مروان . ويضحك
وهو يقول لخادمتة لا تنسي ان
تضمي علسي ظهر السيارة الشادر
وقطعة الجبل كالعادة . وتبتسم
زوجته فهي تعرف ما يخطط زوجها
الذي .. انه يستطيع ان يفعل ما
يشاء وبانتمائه يحصل على ما
يريد .

وهكذا مضت سيارة الموظف
الكبير وعلى متنها سليم المخاطر
وعائلته . كانت تقطع السهوب مارة
بين القطعان المتناثرة على المراعي
ترعى وتغو متفرقة هنا وهناك ..
وتقف السيارة الكبيرة بين القطعان
المتناثرة وكان خلا طرا عليها فاعطلها
من الحركة .. وينظر سليم هنا
وهناك مراقبا الراعي البعيد الذي
لا يشك أنه بالموظف الكبير وتدور
عيننا سليم الذكيان تبحثان عن
اسم خروف . الخروف الثقيل
قادم غير ان يدي سليم القويتين
رفعاه الى السيارة وربطاه بالحل
بسرعة ، وغفاته بالشارد
ويقود سيارته من جديد وهو
يضحك ويختلط صدى قهقهته
بشغاء الخرفان المنورة .

ـ لبيبة انه اكبر خروف حصلنا
عليه حتى تاريخه ، اسمن واحلى
من الخراف السابقة .. كم ستكون
الحفلة التي سنقيمها ممتعة ؟ وسناكل
الكثير من اللحم ؟ الست ماهرا ؟
وتضحك لبيبة وهي تقرب انهما
الصماء قليلا من زوجها لتسمع جيدا
ما يقول وتردد : انت اذكى انسان
في الوجود يا سليم ، قتل الحفلات

ما تملك ... وتساؤل الناس : هل
جنت ام محمود ؟ لم يستطع الراعي
ان يقول شيئا . كانت ام محمود
تصرخ اريد خروفي . وينظر اليها
الراعي في الم والدمعة في عينه
مرددا كعادته كلما فقد خروفا من
القطيع ، ونادرا ما يحصل ذلك ؛
اكله الذئب .

وتنع المرأة علس الارض محطمة
هزيلة شاحبة لا تدري ما تفعل .
تريد ان تقول شيئا ولكن ليس
عندها مايقوله سوى البكاء والعويل .
ويمر بها اطفال القرية ضاحكين
وبينها وبين عودة محمود سنطويلة
وليس لها من عمل . لن تودع خروفا
في الصباح لتستقبله في المساء
كالعادة . وليس عندها اي شيء
تصده لاستقبال « محمود » ...
وتتناول حجرا كبيرا تضربا به
الارض بقساوة وهي ما زالت تصرخ
انها تريد ان تحطم رأس الذئب .

رياض نصور

اللاذقية

التي تقيها لا كلفتها جيشا لم تحضر
لنا البقرة الماكية الكثير من
الهدايا وكيسين من الحبوب حصنت
عليهما بذلك وكتم بطيخك في
جانب الخروف الذي كان هزيلا
جدا مما دفعك الى انتقاله اكثر
نصحا هذه المرة . لقد اصبحت
خبيرا بارعا باقتناص الخراف .

وهكذا كانت وما زالت الارض
تضحك للموظف الكبير .. وكما في
القرية كذلك في المدينة ، الجيران
ميروا له عن حيلهم وشوقهم له
مع حبه وتقديرهم واحترامهم .
وانهالت الدعوات راسا هاتفا
على الاهل والاقرباء والامدقار .
وديع الخروف وتصادمت رائحة
النساء هنا وهناك والضحك
والرقص . انها حفلة شيقة يقيمها
اهل القصر وبالكون ويشربون في
صحرة مروان ونجاح مروان .

كانت ام محمود تلتطم راسها وهي
تضي صاخرة في ازقة القرية
تبكي . لقد ضاع خروفا وهو كل



الدكتور محمد رجب البيومي

مرارة الاخفاق

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

تروي بعض الطرائف ان غادة جميلة تنال حواشيها لفيث من الشباب ، ردحا كبيرا من الزمان ، كل يقدم لها ولادة واخلاصه وقلبه ، فلم تلتفت الى احد ، اخطى انفسه بمرور الزمن ان تخير بين اثنين وقما منها موقعا متفقا بحيث لم تستشعر نحو احدهما رغبة تفوق الآخر وارادت ان تحسم النزاع فقالت في صراحة : انما لا تفضل احدا منهما على اخيه ، ولكنها ستهب نفسها لمن يغوز في صراع قوي ينشيب بينهما ويقرر غلبة احدهما . فالتحم الشبان في صراع حاد نزولا على رغبتهما ، وانصر احدهما لا محالة ! ثم نهض اليها مفتوح الذراعين يحدق بعينيه ليري ابتسامة القبول والحظوة ، ولكنه بفت حين شاهد حسناؤه تشيع عنه وتنكب على العاشق الصريع تضمد جراحه وتعلم انه الفائز بغاؤها !

دهش النظارة وتساءلوا عن سر هذا الاختيار العجيب فاجابت في حماسة انها لا تستطيع الا ان تحترم هذا الذي جرح جسمه وسال دمه من اجلها ، اما المنتصر فيكفبه من الفرحة نشوة الانتصار وتصفيق الاكف !

تروي هذه الطرفة كمثل نادر في تقدير المخفق واحترام جهده ! ولكن اي مخفق تقدر وتحترم ؟ انه قطعاً ليس الخامل الكسول الذي يضع على نفسه القرمسة الساخنة ويتشاهب دون نشاط اذا حان موعد العمل الكادح فلذلك لا يستحق سوى الإزدراء ! اما المخفق الذي يبذل

جهاده الجاهد ويستعد للامر استعداد اليقظ الحريص ثم يفوته النجاح لعامل فوق قدرته قائم ممسك يستحقون التقدير ، وهذا ما عنته الحسنة حين آثرت عاشقها الجريح .

والاخفاق سلاح نفسي ياتسره لانه يعصف بالارادة مصفاً ، ويهدم دون هواده ما يتجمع من عزم في كيان المخفق حتى ليعرقل سيره اذا سار ، بل انه يرى صاحبه ما لا يرى سواه في وجوه الناس ويسمعه ما لا يسمع ، فكل نظرة اليه تؤول الى تهكم واستهزاء من البعيد والى عطف ورتاء من القريب وكل همس بين اذنين حديث عن كبوته وتندر بعثرته ! ومن ثم ترى المخفق لا يني متعلما في وجل هالغ الى ملامح الوجوه متسهما الى همسات الافواه مما ينطق بمحتنه الداخلية في افصح ميم ، اذ لو وقف انسان ما ، على قارعة الطريق يتصفح وجوه المارة من الراحمين والفادين لامكنه بسهولة ان يميز الانسان الناجح في عمله ، المعتز بمجوده ، من العاجز المخفق الذي تؤوده العقبات وتقف الموانع دون ما يبتغيه ، فهو يرى الانسان الاول طلق الوجه ، قوي الحركة ، هادي النظر ، على حين يري الثاني متعق الوجه عابسه ، ساهم النظرة حازرها ، شارد التفكير في ذهول وكما يمر بك المريض الساحب فترتاح لشحوبه وناسي لعلته ، فكذلك يمر بك العاجز المخفق فتناسي لمنظره المكتئب وانقباضه الموحش ، وعزمه المتضعف ، ولسنا نعد وجوه الشبه بين المريض في جسمه ، والمخفق في عمله ، فكلاهما يكابد من الاشجان ما يورق منه ، ويقض مضجعه ، ولكننا نجد مريض الجسم في كثير من احواله يبعث الرحمة ومشار العطف من مخالطيه ، فهو يتسبط لهم في شرح الامة الجسمية ، وعمله المضوية فيجد الاذن السامعة والقلب الرحيم واللسان الناصح ، اما العاجز المخفق في عمله فيعترض الهم طريقه ويرين اليأس على خاطره فيبيت ليله ساهدا ويظل نهاره مكدودا ملتناجا ثم لا يستطيع في اكثر اموره ان يكشف للناس مناحي فشله ومواضع اخفاقه ، واذا اضطر الى ذلك اضطرارا لجأ الى تشويه الحقائق ليبريء نفسه من سمات الضعف ، ويواث العجز والافخاق ، اذ انه من الصعب البالغ على الانسان ان يعترف بعجز لحته فيما يسهل ادائه بالقياس الى زملائه ، فاذا سئل عما اصابه من اخفاق حاول ان يحيل على غيره اذا وجد من الاسباب المتوعدة ما يجيز ذلك في بعض الاذهان ، ثم يجهد نفسه في اخلاق وسائل التبرير وحجج الدفاع ، وهو يعترف في اطوار نفسه بحقيقة قصوره وتقصيره ، ويمكن فشله وقنوطه ولكنه لا يستطيع ان ينفس عن صدره كما ينفس المريض ذو اللة الجسمية بلذكر الحقيقة الكارثة بقلة حيلته وخيبة مسعاه ، فليترك الرجل يغطي مضطرا من صدره محتدما في احشائه دون ان يجد وسيلة كنهذته وتسكينه ، وقد يتجسم اخفاقه

المعاصرة ممن وقفوا على أحدث النظم التربوية في أوروبا وأمريكا ؛ ولكن مرور نصف قرن أو يزيد على قيام الإصلاح التربوي في مصر وبعض البلاد العربية لم يعقب السرا ذا بال في التوجيه والتسييد .

والطريق العملي للتجاء من الاخفاق الا يخذع المخفق نفسه في شيء ؛ فغيه ان يواجه نفسه مواجهة صريحة ليتعرف مواطن ضعفه ومهاوي سقوطه ، فيزن عمله على ضوء نتائجه ليدرك الثغرات المتسعة التي تسرب من منافذها الفشل ، ففي ذلك الإدراك الثفات الثقيلة الحريصة ، وتغيير من الخطة المعوجة واستعداد لمعالجة الداء بيلمس شاف ، كما ان في استشارة الناصح المخلص ، وتامل سلوك الناجحين ، ومنازعتهم في الإخذ والعطاء قائلة حقيقة لن يقف عليها ، فاذا بدل المخفق خطته واستشار ذوي النصيحة الخاصة بدأ العمل في حزم وقفة ، وعليه مع ذلك الا يتعجل الثمرة الباعثة من بابها القريب فاذا أبطلت عنه بعض الاسباب فليسيح ورائها سبعا طويلا مستثيرا همة المصممة ، ثم ابدا السير الى النهاية فمن يدرى قلل النجاح قريب !

وكم من الناس من ساءت حظوظهم بدءا لم حسنت نهاية فاما وهوا لاخفاق ، او استكانوا لكثرة ، اذ ليس الفشل شربة لآرب على بعض الناس يواجهونه انسى يقصدون !

اكتب ذلك وانا اعرف ان بعض القراء سينفقون رؤوسهم ضارين ثم يقولون ناصح وارشادات يعرفها كل الناس ؛ ولن ياتي العلاج الحاسم بوعظ منبري ونصح اخوي ؛ يقولون ذلك ثم يدرسون وجوههم وكأنهم فرغوا من المشكلة ووجدوا لها العلاج الحاسم ؛ فاذا سالتهم وجه الراي صاحوا كخطباء مصاعق ؛ لنصل الى البواصت النفسية ؛ لنحلل واقع المخفق ونعمد الى ظروف بيئته وواقع عمله واسرار تكوينه ثم لنفحص عقده الكامنة ، ولنتفقد على احلام يقطعه وهواجس نومه !! وانت لا محالة تعرف سلفا جميعا يقولون !

ولكن هذا التشرريح الشخصي وذلك التحليل النفسي لن يكونا في مقالة تنشر لجميع الناس على وجه عام ولكنه علاج ذاتي شخصي مكانه العيادة النفسية لدى عالم متخصص ؛ ونحن ننصح هؤلاء المرضى بارتداد العيادة النفسية ذات الطبيب الحاذق فيها كثير من النفع دون مراء ، ولكن وجود العيادة النفسية لا يمنع كتابا ان يسطر ملاحظاته العامة لجمهور القراء كما بلمسها ؛ ونحن لانتحدث عن مخفق خاص ، او فاشل معين نتفق بالحديث عنده وحده انما تشير الى ملاحظات عامة نلمسها لدى الكثرة

(1) يتشد بعض الكفوين في منع كلمة الفشل بمعنى الفحيسة ويصرها على الصلف ، وقد جربنا في هذا المقال على الاستعمال الاول للبره وللوجود ما يبرره من التأويل . اهـ

امام عينيه اذا تكرر ثانية وثالثة ورابعة كما يحدث احيانا ، فيفقد الثقة في نفسه ويزعزع بواصت الاطمئنان من قلبه ، فيصبح المخفق هياكة تكسا يحجم عن المشاركة في كل عمل متمر كيلا بطارده الاخفاق ؛ كشانه الامس - فيصير مضفة الانواء من جديد ، وفي الناس من يتلذذون كثيرا بالحديث عن المخفقين فيظلون مادة سخرتهم ولهوهم لا يبرحون حديثهم الراوي ، وكانهم بذلك يريدون ان يقولوا اننا لسنا من طرازهم ، وبذلك يستشعرون بعض التيه النفسي الكاذب اذ سلموا من اخفاء المكتوبين ، بل ان في الناس من يحسمون اخطاء معارفهم تجسيما مذهلا يتقبض له المنتصفون ، فهم اذا عثروا على زلة هينة اخذوا بجوفونها تجويفا وبسخرتها تضخيمها ليشتوا للمهم انهم بمنى من الزلل والسقوط ، ومثل هؤلاء لا يرحمون المخفق اذا وجدوه بين ظهرانيهم ، فحديث اخفاقه انشودة ولغة تطرب الاسماع ، ولا حيلة لنا في هذا الطراز من الناس فان تقدم الانسانية في ركبيها المدني يسمح ببقاؤه دائما دون استئصال ؛ هؤلاء الطغام من الاوشاب يزدون تبرع المخفق بلاه فوق بلاه ، فهو يحذر السنهم القارصة ويتخيل في نفسه احاديثهم الزارية فاذا دفعت الظروف القاسية الى عمل جديد تخطته الحيرة ، وتقاذفته الكاذبة مقدرا عاقبة الخذلان امام هؤلاء الاوغاد ومن لم لا يفرغ لروية متأنية ، او يركن لتدبير سديد ، ومهما جد المتردد الهياكة في امر فل ينطق في فجاكه مبلغ التحازم المصمم ، الواثق من خطواته ، الهلالي ينطق المنرفين ، وارايجف المتدورين ؛ فانه سينطق من الثمرة اضعا ما يقطعه المترد الخوثر ، والويل له من هواجسه الحاكمة اذا خلا الى نفسه واثرين بين سماء الضئيل ومسمى غيره من ذوي الحرم والعزم !

واذا كانت النفوس متفاوتة في الذكاء والقدرة على الافادة من التجارب ، ووضوح الرؤية البصرية لمحيط العمل ومتدرجاته المتعددة ورواياه المتشعبة فان النجاح والافاق يزجمان غالبا الى الخطة التي ينتهجها الانسان في مياديه وفق استعداداته الشخصي وقدراته النفسية ، والفشل داء مزمن لم تستطع التربية المعاصرة اجتناث جذوره وان ساعدت على تضيق مجاله بعض المساعدة ؛ وليس التعليم المدرسي والجامعي مما يعصف ببلواه ، اذ اننا نرى بعض المخفقين نهلوا من الثقافات العالية وظفروا بالدرجات العلمية ذات الشرف حتى اذا تركوا مقاصد الدراسة وخاضوا لجة العمل غرقوا في الخضم ؛ وقصد تجمعهم اللابسات مع هم دونهم في مجال واحد ، فيخفق الجامعي وينهض من دونه ؛ وقد طال حديث المربين في الشرق منذ اكثر من نصف قرن عن قساد الطريقة التعليمية التي تستهدف تحصيل العلوم والمعارف دون اهتمام بالتربية النفسية والخلقية وتهينة المواطن السوي وبذلت في هذا المضمار جهود كثيرة قام بها رواد التربية

وسبجات الاوهام لادراك انه موقف غير متصور - ولا امر ما يتبدد الصفاء النفسي مع توافر اسبابه ، وينجم الكدر الروحي مع انقطاع بواعثه لدى المسرفين في الامساح الوائين بانجحة الشطط الى دنيا تعمق بالاربع ! وقد ينساق هذا الصنف من الحالين الى مقارنة زائفة يعدها بين نصيبه ونصيب غيره ممن اسعفتهم ظروف استثنائية لا تطرد مع سائر الناس فلبقوا شأوا من الثراء والجاه لم يتح لجمهور العاملين ! فاذا ارتدى رميل ما من غير طريق المألوف ، قلن يكون ذلك اخفاقا لمن نهج النهج الطبيعي من رملاته ! ولن يكون ذلك مظنة خيبة لدى من يغبون كفا على كف محسرين ! واذا كان الضعف الخلقي نفسه هو الذي اتاح الارتقاء من غير وجهه لدى بعض الواصلين فان الضعف الخلقي هو الذي يجعلنا نعد انفسنا مخفقين ! لم تتح لنا ظروف شاذة كظروف صاحبنا السعيد ! وبا لا مأساة أنا لا انكر ان الموازنة بين النظراء عمل فريزي لا يمكن منه ! فكل زميل يضطر الى قياس نفسه بغيره ممن يتساوون معه في العمل واللباسات ! ولكني انكر ان تكون الموازنة على اساس النتائج دون المقدمات ! فلا بد ان يقدر الموازن النصف في اعتباره حظا في النجاح والخيبة قبل ان يجعل النتيجة النهائية مجال الحكم والترجيح ! وبذلك تنخفض اقدار مرتفعه ، وترتفع جهود متواضعة لدى من يؤثرون الصراط القويم ! اعرف تاجرا امينا يرمى حدود الله في واجبه ، فلا يتسبب له اجلال ربح زائف ، وقد وفقه الله في عمله فتم السلب الممقول ووزق الحياة المسفة ، ولكنه مع ذلك تلقى متغصير ينفي الحياة بنفس ضائعة وصدر متقبض ويعتقد فيما يصارح به خصاصه انه مخفق عاجز فلا استوصحه رايه ذكر رميلا له كان يشتغل برأس مال كماله ، ثم استغل بعض منافذ التموين الحكومي لحسابه فاختزن واحترق ، ونجا ببقائه الدفينة مس المسؤولية القانونية وهو الآن يقتني العقار ، ويشترى الارض بموفيت المتاجر ! هذا الثراء النشاذ مبثع التياح صاحبنا ويمكن ضيقه المتأزم ، فليته يعلم انه اسعد حظا من صاحبه حين اطمان الى سلامة طريقه فنجما من عقدة التائب ، وسلم من ثورة الضمير التي تشب كثيرا في نفوس امتي الصماء حين يستعرضون محازيرهم الفاضحة في هذا الليل ، ولكل انسان طائره في عتقه ، يذكره بما قد اقرط مهما تغافل فاطمأ .

ان لنا ان ننظر الى الاخفاق نظرة موضوعية فندرس بواعثه ونتعرف اسبابه ، ثم نعمل على مواجهة الحقائق كي تقترب من العلاج الراشد ، ومن المفيد ان نطيل فسي تشخيص هذا الداء البغيض متمهين فلعله اخفاق متوهم لا عجز متحقق عند الكثيرين (1) .

ان لنا ان ننظر الى الاخفاق نظرة موضوعية فندرس بواعثه ونتعرف اسبابه ، ثم نعمل على مواجهة الحقائق كي تقترب من العلاج الراشد ، ومن المفيد ان نطيل فسي تشخيص هذا الداء البغيض متمهين فلعله اخفاق متوهم لا عجز متحقق عند الكثيرين (1) .

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار الطلعات

من العاشقين ، كما تشير بعلاج عام يعيد في مجموعته الى بعض الصوء الكائن وهو لا محالة ينفع ذوي الاخفاق المبدئي فيمعون على مخاض ادواهم قبل ان يمتد الحريق . واقفة الاخفاق الياس ؛ فهو العاصف المعمر الذي يقيد كل خطو عن العمل ، واذا تمكن مسن انسان فقد حطم ارادته وشل تفكيره اذ يجسد المخاوف امام عييه فيتوهم لكل عمل جديد نهاية اليمة ، ولكل تجارة خسارة مرتعبة ! ومن نقاط الضعف لدى المخفق انه يعتقد ان غيره من الناجحين لم يلدوقوا كؤوس الخيبة في خطايمهم الطويلة على درب الكفاح مرات ومرات ثم شحذوا العزمم وواصلوا السير في تحد لمصاعب حتى قهروا العشل قهرا ، بل يعتقد في اطرائه ان هؤلاء الفائزين قد وثقوا الى النصر وثيا في طريق فرش بالازهار وهذا ما يكذب الواقع ، فليس النجاح في العمل ورقة ياصيب تؤخذ بقرش فتكسب في الحال مئات الجنيهات اذ ان النجاح والخيبة والكسب والخسارة والعلو والهبوط ادوار طبيعية على مسرح الحياة تتعاقب متتالية ولي تقطف الثمرة النهائية الا بعد صراع تدخر له القوى ، وتحشد العزمات ، وقد ناني الخيبة من اسباب لا ترجع الى تقصير الخائب وقصوره بل الى منافسات الحياة وهبوط الريح من جهة غير متوقعة وهذا ما لا حيلة فيه لاشد الناس ذكافوا قواهم عزيمه !

ومن حسن الحظ ان ذلك لا يطرد في انحرجه الله تاي ان يكون الانسان محاصرا دائما بطوى غالية تقي خطته ، وتاتي على بنيانه من القواعد ، ومنطق نقي ان الدليل تصددهم الحياة بما لا يتوقعون ، بعد ان استصوا العمل واتوا للتدبير سرعان ما ينهضون وقد ضمدوا جراحهم وناهبوا لجولة عاجلة تاتيهم بالنصر السريع الا من شد ! وقد يجعن انسان سوي الى عمل لا يلائمه فيتخط في فشله ، ويكون الاخفاق لديه نتيجة اختيار مخطيء ، ولا فراية في ذلك فبعض العقلاء يجعلون مواهبهم الاصلية فلا يسلكون السبيل الى استغلالها بل يقومون بما يتعارض مع قدراتهم الكامنة من اعمال ، فيحاربون في حيلة لا يتقدرون على الصيال بها ، ولو عدلوا الى مياديتهم المناسب لجلوا ظافرين ! ونحن نشاهد في المجال الادبي - فليس سبيل المثال - من يتعاطى الشعر وهو كاتب ، ومن يكتب المقالة وهو روائي ثم يصير على ممارسة انتاج لا يبرز حقيقة معدته ! واذا جاز ذلك في المجال الادبي وفرساته من ذوي التفكير والدراية فهو في غيره من الحقول المتنوعة اكثر جوازا ، وما الصانع الذي يترك صناعته ليفتح جانوات بقالة الا احد عشرات الامثلة لما تريد !

ومن المشاهد ان الاخفاق في بعض احواله يكون متوهما لا حقيقيا اذ يتخيل ، لبعض الناس انه غير موفق في عمله ويلتقي من الاسباب الموهومة ما يؤكد له انه لا التخييل ، ولو تأمل حقيقة واقعه بعيدا من سرف الامال

لقاء في غرناطة

مهداة الى الصديقة الشاعرة سلمى حطار الكويري
ذكرى لثلاثنا في غرناطة

★ ★ ★

وسلوة للمهجة الحائرة
عذب كاحلام الصبي الناضرة
من أجل هذي الهبة النادرة
- رغم البها - فتاة ساحره
ما مثلها الجنة في الآخرة
يلقى هنا اختا له شاعره
لم نجتمع في أرضنا العائره
تجمعنا في زوره عابره
وحب امجاد لنا دائره
ولنستعد أيامنا القابره
اخيارها مرققة عاطره
كانها اسطوره باهره
بكل مجد شامخ عامره
أبهاؤها أيامها الزاهره
تبتهل فيشاره أسرّه

من حلم ، أم حلم ساخر ؟!
ماضي ، أم الماضي هو الحاضر ؟!
فكان فينا بعثه الباهر ؟!
مما هنا تاريخنا القابره

كان له ايقاعه الأسر
ضمخه أريجك العاطر
في حلم ليس له آخر

سحرهما لي فاتن قاهر
اصباحي المظفر الساحر

عيسى التاعوري

يا عذبة البسمه يا ساحره
يا حلوة العينين ، هذا اللقاء
حمدت غرناطة من أجله :
ولم تكن لولاه غرناطة
لكنهما الآن بدت جنه
انسي هنا لشاعر عابره
جننا من الشرق ولكننا
غرناطة اقرب من جطق
روحان للحسن بنا صبرة
شاعرتي ، فلنسترح ههنا
فها هنا كانت عهد لنا
تروني الفترحات احاديثها
وماتني آثارها حيه
لو تنطق الحمراء لاسترجعت
كانها انشودة حلوة

رفيقتي ، نحن هنا صحوة
انحن مبعوثان في حاضر
هل بمث التاريخ من اسمه
لسنا فريدين ، فقد ضمنا
هنا تلاقينا ...

هنا خطونا
في جنة العريف ميعادنا
مع ملاح الشمس نلاقى الفيا
عيناك ...

يا للسحر ! يا للرؤى !
لا تغمضي عينيك ...
لي فيهما

غرناطة

تجارب من بلاغة اليوم

بقلم عدنان بن ذويل

مع مطلع القرن العشرين ، وبفعل الاحتكاك المباشر مع الغرب وأدابه ، تنيحت الأذهان إلى التجديد الأدبي ، والنقدي ، والبلاغي ، فقد اصطبغ الأدب العربي في ناحه الجديد ، الحديث ، في البلاد العربية والمهاجر أثبت بصيغات جديدة ، حديثة في الشعر والنثر ، وأنوعها ، موضوعاتها وأساليبها .. الأمر الذي ساعد على التناقص النقدي ، والبلاغي ، وتوطيد مبادئه ، ودفعها ..

وعندما انشئت الجامعة المصرية القديمة ، عام ١٩٠٨ ، استقدمت الهيئة الإدارية فيها عددا من المستشرقين لتدريس الأدب ، وأخذ المستشرقون يطبقون مناهج البحث العلمي الأدبي في دراسة الأدب ، الأمر الذي كان له أثر كبير أيضا في التناقص النقدي ، والبلاغي ، ناهيك بأنه في التجديد الأدبي نفسه ، واللذين كانت تطعن اليهما النفوس وقتها ..

وقد استطاعت البيئات الجامعة العربية إحراها في الجامعة المصرية الحديثة ، التي تأسست عام ١٩٢٨ ، ومدرسة الآداب العليا ، في الجامعة السورية ، والتي تأسست عام ١٩٢٩ ، وغيرهما أن تجد في طرق البحث الأدبي ، وتجديد في مفاهيم الأدب نفسه ..

وقد دخل الأدب العربي بذلك ، بالفعل ، مرحلة جديدة من حياته ، وعلى الخصوص نقده ، أو التناقض له ، وبلاغته ، وهي المرحلة العلمية المنهجية الحديثة التي تنص المادة المدروسة ، والمنهج الذي يصطنعه الدارس لمتحجيسها ، وجلائها ، من دون أن تفسط حق الرأي ، أو الدوق ، أو أن يهملها في ذلك ..

يلاحظ الدكتور محمد مندور في كتابه « الأدب ومذاهبه » مصر ، ط ٣ ، ص ٩ وما بعدها ، أن التعريف الحديث للأدب ، من أنه ، أي (الأدب : صياغة فنية لتجربة بشرية) ، انتشر عند دعاة التجديد المحدثين وخاصة في الشعر ، وذلك بفعل تأثيرهم بالغرب وآدابه .. صدر عنه إبراهيم عبد القادر المازني ، وعباس محمود العقاد عند تقديمهما لأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وخاصة في كتاب الديوان ، كما ظهر مداول التصريف واضحا في كتاب « الفريل » لميخائيل نعيمة ، وفي مقدمات دواوين شمرية عديدة ، نشرها أحمد زكي أبو شادي ، والعقاد ، والمازني ، وغيرهم ..

ومن المؤسف ، كما يلاحظ الدكتور مندور أن ذلك .. أن تفهم هؤلاء الدعاة المجددين للأدب ومضمونه حسب هذا التعريف كان قاصرا .. فالتعريف غربي حديث ، وقد ضيعوا من مفهومه .. ولذلك انبرى يوضح في صفحات مركزة من كتابه المذكور المقصود من (تجربة بشرية) ، وأنها ليست التجربة الشخصية فقط ، كما كانوا يظنون ، أو يذهبون إلى ذلك ، وإنما تشمل أيضا تجارب أخرى ، السريخية منها ، والأسطورية ، والاجتماعية ، والخيالية يدلل عليها بنماذج وأمثلة من أدب خليل مطران ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهما ..

ان تطور الحياة الأدبية الحديثة ، في هذا المثال ، جاء عن طريق التأثير بالانقياس ، والترجمة ، وظهر على شكلفاعل الأدباء ، والنقاد على السواء مع الجديد ، والدعوة إليه .. ان تأثير الأدباء ، والنقاد في الحياة الأدبية ، وفي التناقص النقدي ، والبلاغي الأخذ بالنمو ، والإزدهار أثبت ، لا يقل قيمة ، وأهمية ، وخطرا عن أثر البيئات الجامعية العربية وقتها فيها ..

العامل الفعال عامل بناء وتجديد في المثال ، لا شك في ذلك ، لنقل عامل تسوية إنتاج حديث ، أو تسوية نقد حديث .. أي أنه عامل من الحياة نفسها ، وليس من بيئة جامعية معينة ، أو بيئة علمية معينة .. والوضوح تمثل حديث للأدب ، حسب تعريف حديث له ، وماذا حصل ؟ .. لقد قُطِيعَ التشليل ، وجدت دلالة ، واتنصر شموله على التجربة الشخصية بكون سواها ..

ولا شك أن فاعل الأدباء ، والنقاد مع ظروف التجديد الذي كانوا يطمحون إليه ، والمسار الذي قطعه التجديد الأدبي ، وما اصطبغ به من صيغات ولونيات ، كل ذلك ساعد على التناقص بفعل الحياة نفسها ، وسوف نرى أن البلاغة ، ودراساتها الحديثة تسير هي نفسها متفاعلة مع الحياة العربية الحديثة ، والتي لا تنفك تصطفي ، وتختار ، وتعزل ، وتفرز ، وتقتن ، وتقبل ما تقبل ، وترفض ما ترفض ..

مثال آخر بارز من واقع أدبنا العربي ، ونقده ، ودراسته في مطلع القرن العشرين .. لقد كانت (اللغة الرسمية) في الدولة العثمانية ، خاصة في الفترة الأخيرة ، هي اللغة التركية ، وقد كان رصيده اللغة العربية في الأقطار العربية أثبت ، ظاهر الأهمال ، خاصة في التعليم الرسمي ، والإميري ، وكان يدرس أئذ باللغة التركية ، وهو رصيد شعبي مقتصر وقتها على تعليم القرآن الكريم ، وسبأىء من نحو ومصرف وبيان ..

في حين كانت الطريقة القديمة في التعلم ، والتعليم ، أي عن طريق مجالس المدرسين ، والوعاظ في المساجد ، أو عن طريق المؤذنين في البيوت شاملة أئذ ومتواترة ، واستمر الأخذ بها حتى قيام الحكم الفيصلي العربي في

سورية - اثر الحرب العالمي الاولى ..
وقد عملت الحكومة الفيصلية ، وهي اول حكومة عربية سورية تحكم البلاد السورية بعد التحرر من حكم الاتراك على تعريب الدواوين ، وأنشأت مدرسة للكتاب والمنشئين لتعليم موظفي الدولة الكتابة العربية السليمة ، وبجدنا الأستاذ خليل مردم بك الذي كان يعمل آنذ ، مميّزا في ديوان الحكومة ، بتبني الرسائل الرسمية الصادرة ، والواردة ، ان الحكومة الفيصلية كلفته بإلقاء دروس في الانشاء ، والكتابة على الموظفين ، ففعل ، ثم ما لبث ان جمع محاضراته في كراس ستحدث عنه بعد قليل ..

ويقول الامير (مصطفى الشهابي) ، في حال اللغة العربية ، آنذ (١) :
« .. ومن التادر في ذلك الزمن ان يجد المرء شابا في مقتبل العمر يكتب بالعربية ، في سر ، وصحفة ، وسلاسة ، ولا شك فسي ان الشبان في ايامنا هذه سيتعاطفهم قولي ان لغتنا الضاربة كانت تدرس بالتركية في المدارس الحكومية ، وأنه لولا بعض المدارس الاعلية من اسلامية ومسيحية ، ولولا العادة القديمة في تلقى علوم اللغة ، والدين على العلماء في البيوت ، او المساجد لما وجدنا في ذلك الزمن كتابا قادرا على تأليف كتاب عربي او على كتابة مقال في صحيفة عربية .. »

كانت تلك الحال حالنا في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن الحالي ، ومع ذلك لم نجد في البلاد العربية السورية آنذ نوابغ مبدعين حلوا مشكل الادب ، والنقد ، والبلاغة ، الفوا فيها ، ونافعوا عنها ، والذين اذكر منهم (٢) ، مثلا ، الاب لويس شيخو ، الذي كانت كتاباته موسوعة الجيل الادبية ، والقدي ، وترك كتباً قيمة في علم الادب ، والانشاء ، والعروض ، والخطابة ، والشعر والتاريخ الادبي ثم محمد كرد علي الذي خدم الفكر والادب واللغة آنذ خدمات جليلة ..

ناهيك بالفنانيين والادباء المبدعين الذين طورا اساليب الاداء الادبي عن طريق المسرحية ، والرواية ، مثل ابي خليل القباني ، وتلاميذه ، ومنهم داود قسطنطين خوري ، وغيره ، او مثل معروف الاناؤط الذي كان يترجم المسرحيات والكقص المختلفة ، لم نبغ في الرواية التاريخية العربية الاسلامية ، وغيره ..
كراس الأستاذ خليل مردم بك يحمل عنوان « كتاب دروس الانشاء » ، ولا يزال مخطوطا ، واطلعت عليه عند الأستاذ عدنان مردم بك - ولد ادينا خليل مردم بك ، ولخصته من عنده ..

يقول خليل مردم بك في مقدمة مؤلفه :
« اما بعد فهذه دروس في الانشاء العربي ، كنت اقيتها في مدرسة (الكتاب والمنشئين) التي استسها

سورية - اثر الحرب العالمي الاولى ..
وقد عملت الحكومة الفيصلية ، وهي اول حكومة عربية سورية تحكم البلاد السورية بعد التحرر من حكم الاتراك على تعريب الدواوين ، وأنشأت مدرسة للكتاب والمنشئين لتعليم موظفي الدولة الكتابة العربية السليمة ، وبجدنا الأستاذ خليل مردم بك الذي كان يعمل آنذ ، مميّزا في ديوان الحكومة ، بتبني الرسائل الرسمية الصادرة ، والواردة ، ان الحكومة الفيصلية كلفته بإلقاء دروس في الانشاء ، والكتابة على الموظفين ، ففعل ، ثم ما لبث ان جمع محاضراته في كراس ستحدث عنه بعد قليل ..

ويقول الامير (مصطفى الشهابي) ، في حال اللغة العربية ، آنذ (١) :
« .. ومن التادر في ذلك الزمن ان يجد المرء شابا في مقتبل العمر يكتب بالعربية ، في سر ، وصحفة ، وسلاسة ، ولا شك فسي ان الشبان في ايامنا هذه سيتعاطفهم قولي ان لغتنا الضاربة كانت تدرس بالتركية في المدارس الحكومية ، وأنه لولا بعض المدارس الاعلية من اسلامية ومسيحية ، ولولا العادة القديمة في تلقى علوم اللغة ، والدين على العلماء في البيوت ، او المساجد لما وجدنا في ذلك الزمن كتابا قادرا على تأليف كتاب عربي او على كتابة مقال في صحيفة عربية .. »

كانت تلك الحال حالنا في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن الحالي ، ومع ذلك لم نجد في البلاد العربية السورية آنذ نوابغ مبدعين حلوا مشكل الادب ، والنقد ، والبلاغة ، الفوا فيها ، ونافعوا عنها ، والذين اذكر منهم (٢) ، مثلا ، الاب لويس شيخو ، الذي كانت كتاباته موسوعة الجيل الادبية ، والقدي ، وترك كتباً قيمة في علم الادب ، والانشاء ، والعروض ، والخطابة ، والشعر والتاريخ الادبي ثم محمد كرد علي الذي خدم الفكر والادب واللغة آنذ خدمات جليلة ..

ناهيك بالفنانيين والادباء المبدعين الذين طورا اساليب الاداء الادبي عن طريق المسرحية ، والرواية ، مثل ابي خليل القباني ، وتلاميذه ، ومنهم داود قسطنطين خوري ، وغيره ، او مثل معروف الاناؤط الذي كان يترجم المسرحيات والكقص المختلفة ، لم نبغ في الرواية التاريخية العربية الاسلامية ، وغيره ..
كراس الأستاذ خليل مردم بك يحمل عنوان « كتاب دروس الانشاء » ، ولا يزال مخطوطا ، واطلعت عليه عند الأستاذ عدنان مردم بك - ولد ادينا خليل مردم بك ، ولخصته من عنده ..

يقول خليل مردم بك في مقدمة مؤلفه :
« اما بعد فهذه دروس في الانشاء العربي ، كنت اقيتها في مدرسة (الكتاب والمنشئين) التي استسها

مما سبقا خاصا يخالف تنسيق النثر بالضرورة ، وقد وافق جمهور الافرنج والعرب في امر اللفظ فسي الشعر ، وإن الشعر يجب ان يكون له معجم خاص يخالف معجم النثر ..

يعلق احمد شاعر الكرسي على ذلك ، مسجلا تفهقن اللغة الشعرية في ايامه ، فيقول (٥) :

« ويستطيع القارئ بعد ان عرف قيمة شرف اللفظ ، وتنسيقه في الشعر عند العرب والافرنج ان يدرك سر تفهق السواد الاعظم من شعرائنا في سورية ، والمهجر خاصة وسبب تآخرهم .

كان اولئك الشعراء قد اسقوا في لغة منظومهم ، وبعثوا عن النسق الشعري فيه بعدا عظيما ، وجعلوا قصائدهم وأشعارهم لا تمتاز عما تنشره صحف الاخبار في لغتنا واسلوبها ، والصحف كما هو معلوم هي البثوث الوحيد الذي يستقي منه هؤلاء مادة لغتهم ، حتى اصبح الابتذال في اللغة والاسلوب سفة غالبة على منظومهم الذي يسمونه عسريا .. فنجتو بعلمهم ذلك على الشعر ، وطمعوه في اشرف مقالته .. »

المعنى : ويرى انه اجزاء الشعر ، وابعدها عن الخضوع للتحديد العلمي ، ولذلك ينتهج نهجا خاصا يسرد فيه اهم الصفات التي نص علماء الادب على وجوب اتصاف المعاني الشعرية بها ، من غير التفرقة بين رأي عربي ، وآخر افرنجي .. قال (٦) :

« رأينا فيما قرأناه من الموسوعات وما وجدنا اليه من المظان ، ان اهم ما يلزم ان تتصف به المعاني الشعرية ، اربع صفات هي : الاطراب ، والسمو ، والشمول والجدة » ثم يشرح هذه الصفات ، فالاطراب هو النفوس ، وتحريك عوامل ارتياحها ، والسمو التبادل من المعاني السوفية المتبدلة ، ويبدو في الافكار السامية ، والخيالات العالية ، والعبارة الملهبة ، والشمول في بصد الصور واتساع المدى ، والتعدد ، والجدة وهي ابتكار المعاني غير المألوفة ..

(١) المروية تكرم خليل مردم بك ، دمشق ١٩٦٠ ، كلمة الامير مصطفى الشهابي ، ذكريات اربعين سنة ، ص ١٨ ، (٢) راجع فسي مجموعة « الادب العربي في اثار الفارسيين » ، بيروت ١٩٦١ ، دراسة الدكتور محمد يوسف نعيم ، الفنون الادبية ، وفيها يتحدث عن سليمان البستاني ، يورجيو طالعاني ، ولسماني حمصي ، ص ٢٨ وما بعدها ، والشدياق ، وشاكر شقير ، وشاكر البتوني ، وابراهيم اليانجي ص ٢٢٥ وما بعدها ، ويمكن ان نضيف جبر صوفيا الذي خدم البلاغة آنذاك ، وفيه (٣) في خاتمة الكتاب يمد المؤلف الكتبي التتسي يستفيد الطالب من مطالعته ، وهي : القرآن الكريم ، نهج البلاغة ، كلية ودمنة ليل القلق ، البيان والتبيين للجاحظ ، كتاب الصائغين لابن هلال العسكري ، رسائل الصافي ، رسائل الغزالي ، ورسائل الهذلي ، الالفاظ التتابية للهذلي ، الاصحاح والابحار للشافعي ، رسائل الفيلاء لحمد كرد علي ، مختارات للتطوحي ، النظرات للتطوحي حديث عيسى بن هشام لحمد الموصلي ، المؤساء ترجمة حافظ ابراهيم ،

ويعلق احمد شاعر الكرسي على هذه الصفات ، فيقول (٧) :

« وعلى ان اكون بعد كل هذا قد استطعت ان اترب حواشي الموضوع الصعب الذي هو ابعاد الموضوعات من الجري على سنن التحديد العلمي .. ليعلم القراء ان الشعر باعتباره اثرا من اثار الفن ، يجب ان تتصف بمعانيه بهذه الصفات الاربعة الجامعة ، فتكون تلك المعرفة ميزانا عادلا في ايديهم يزون به تلك الترهات والاباطيل التي تظن في اذهن كل يوم ، والتي يسميها اهله شعرا ، وما هي من الشعر بشيء .. »

يتحدث احمد شاعر الكرسي عن اثرها في الوزن والقافية فيقول (٨) : « والمقصود بالوزن : جري الكلام على مقاييس خاصة ، اما القافية فهي اخر البيت .. » ثم يقول : « وقد اختلف الناس في امرهما ، فذهب فريق من المتأخرين الى انها غير ضروريين للشعر ، وانه يتحقق بدونهما ، وقال بعضهم ان الوزن ضروري ، اما القافية فغير ضرورية ، وارادني فريق اخر من المتقدمين ، وتابعهم على اربهم كثير من المتأخرين ايضا ، ان الشعر هو الوزن والقافية » ثم يورد الآراء المتفرقة ، في نظره في ذلك ، ويرد عليها فيقول : « كان ممن ذهب الى عدم ضرورة الوزن والقافية في الشعر المرحوم زيدان ، فقد قال في كتابه : تاريخ ادب اللغة العربية : ج١ ص ٥٤ :

« ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام القافي المؤزني ، فيحصرون حدوده بالافلاظ ، وهو تعريف النظم ، لا الشعر ، وبينهما فرق كبير ، اذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم ، وقد يكون ناطقا وليس في نظمه شعر .. وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقفا في النفس ، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر ، ويجوز سبكه في النثر .. »

ويعلق على مجمل زعمه (٩) فيقول (١٠) : « وهذا رأي غير قويم ، لان هذا القالب الذي يسبك فيه الشعر كما يقول زيدان ، او هذه الصورة الموسيقية هي التي تميز

الاجلحة المتكررة لجبران خليل جبران ، مجلة الفصيح لليلانجي ، مجلة التنبس لحمد كرد علي ، مجلة الزهور لانتون الجميل (١١) ، احمد شاعر الكرسي « مختارات من اثاره ، دمشق ١٩٦٤ ، مقالاته عن مشاهير شعراء العصر ، لاحمد فهد ، ص ١٢٧ - ١٤٠ ، (١٢) و (١٣) و (١٤) - المصدر السابق الذكر ، ص ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٢ ، (١٥) - يورد دليله على ذلك ، وهما القولان القديمان : - الشعر كلام ، واجوده اشهر - حيث لا يشترط وزن ولا قافية ، و : - الشعر شيء ليس به مصدورا ، تتفادله على الستنا - المصدر نفسه ، ص ١٢٤ (١٦) و (١٧) نفس المصدر ، ص ١٢٣ و ١٢٥ ، (١٨) لكفانة والتاريخ تسجل هنا ، على نجد في المصدر السابق الذكر ، ص ١٢٩ وما بعدها ، مقالة علمية ودقيقة جامعة تبحث فيها الكرسي عن الاحتال في الشعر العربي القديم ، نشرت في (الكوكب) الثقافية عام ١٩١٩ ، اي قبل تفصيل الدكتور طه حسين القول في نفس الموضوع بنحو سبع او ثمانى صفحات .

الحرق المراض

اولي على الحب اعتراض
والوجد يفرضها افتراض
بليقيـال انتفـاسي
القلب حيا والوفـاسي
يا حبذا لو تستعاض
ولو اعتلى راسي البياض

مرسي من الضيق المراض
بسي غلة مكتومة
قلبي جناح الطير منتفض
وكفى يائي قد ملات
كم فرصة ضيعتها
انا لا اتوب عن الهوى

ذكرى الهوى

وحبك لي هو الهم الميت
وشوقا كيف اني لا اموت
فهل لي من شفاهاك تلك .. قوت
وتخل منك هاتيك .. النعوت
وحساد من التهمى تموت
سكت وكاد يردني السكوت
وغيره في حديثي ما عيت ..
وامتع من به يوما حظيت

على ذكرى هواله انا حيت
وحين تقول عينك مت هياما
وبسي جوع اليك فطالني
نضك بالبهاء وذا قليل
فصلل بينا ووشاء سواه
وحين نظمت عينك شوقا
احبت ثم اعني الفير قصدا
فانك خير من ظلت عيوني

رياضي معلوف

زحلة - لبنان

وليس تحليل الشعر الى عناصره ، في هذا المثال بالعمل الجديد انذ ، انه بالاحرى العمل المتوارث قديما وحديثا ، ولكن الجدة فيه هي في وصل القدم المتوارث بالجديد المستجد ، بناء على رصد ، وتفنيد ..
واما تركيز الصفات الجامعة للشعر ، او للمعاني الشعرية ، وعلى الخصوص ابتداء من مقارنة بين التراثين المتخالفين وكنتا العربي والافرنجي ، فخطوة جديدة حقا ، وهي تاصيلية (١٢) ..

ان الحس البلاغي ظاهر فيها ، ولكنه ظل مزوجا بالنقد الادبي .. ومن هنا تناوب الوصف والمقارن في الحديث ، او ايضا التقييم والتاصيل ، وفي الحقيقة ، لم تكن الفترة تسمح باكثر من ذلك ..

عدنان بن ذريل

دمشق

الشعر من النثر ، فلو كانت غير ضرورية لما جعل الناس الشعر فنا قائما بذاته يخالف النثر ، ويفترق عنه ..
ثم يتابع حديثه في القافية ، فيذكر ان اعداء القافية وحدها من الناديين المحدثين كثيرون ، ولكن قليلين من اقدموا على النظم بلا قافية ، ولم يورد اسم احد منهم ، ثم يضيف ، وجاءت منظوماتهم غثة محرومة من تجاس الايقاع ..

كما يذكر ان النوع الذي يسمونه الشعر المشطور اكثر في نتاج الادب الحديث من الشعر الموزون فيسر المقفى ، كما يقول ، وهو نوع قلد به اهله ما يسمى الشعر الحر عند الغربيين ، وقد انكره كثير من علماء الغرب ، ثم يرفض الاعتراف به كشعر (١١) .. لان الشعر فسي عرف الفن ، في نظره ، واسطلاح العلماء لا يكون من غير وزن ولا قافية ..



مشرهم من صرخة العباسة

العباسة وصالحة بشاران

العباسة :

النار أو حذر الشرور
يكساد يعثر من عور
يامن من النار الخطر
ما يزيغ لها البصر
في المدور من الوحر

ما ضر (جعفر) لو تحاشى
ما باله وهو الأريب
من نام قرب النار لم
ولكل نار حين تعصف
وأمرها ما راح ينهش

صالحة :

الياس والدنيا أغاني
تدل زهوا بافتنان
وساوس مسلة الجنان
ما طاف من نهر الأمان
عن الثالث والثاني
من الروائع والبيان
في التواضع كالآمان
ابتسام طاف في نقر الزمان

عجبا أمن داع لهذا
والأرض في حل الربيع
في كبل سفع للربيع
وبكمل منصرف له
فيثارة غررد بجعل
ولكم بالسوان الربيع
احسانه أبدا جديد
ليس الربيع سوى

العباسة :

تكاثر الشجون بسمه
غريها كمعريد
كتائه في فدفد
خوف المتاعب من غدي
من شامتين وحسد
جزعي وخوفي عن دد
بمنهج وبمقصد
ضربوا بليل سريدي
ذنسب السيرة واليد

ليس الربيع اذا
في الضلعي نار يصفق
ووساوس لا تستقر
أخشي غدي وأخافه
وأخاف كمل نيمه
أنا ان جزعت فلم يكن
الناس اشباه اللهب
وأرى الجميح المنكر
يتخطون وكلهم

عنان مردم بك

دمشق

القس عقل عقل - مصطفى اليرباغ

ابراهيم مطر

بقلم البدوي القلم

١ - القس عقل عقل

في «رام الله» عروس المصايف الفلسطينية ولد «عقل» وندج في بيت مسجدة الطول والادب ، واجل على اقتناء الكتب والمطالعة والكتابة وكان للطبعية الساحكة في مسقط رأسه أثر بعيد في رعاية تلك البذور وصالها الواسع .

في صيف عام ١٩٢٦ انتهى «عقل» دراسته الثانوية في مدرسة الفرند برام الله وفي عام ١٩٢٠ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت ومثل عام ١٩٢٧ بكونغرس في الاداب والطوم واهرز ديبلوماس في اللاهوت من كلية اللاهوت للشرق الاثني في بيروت فشهداته في الفلسفة الشرقية واللاهوت من كلية الطران بكتلنا (الهند) .

وفي ١٢ آب من عام ١٩٢٧ اجتمع بالهاتنا غاندي لقي القس العقل في احدى ضواحي كتلنا ودار بينهما حديث حول حياة الانتماء في نسبه القتال الذي دار عاصمك بين الهندوس والمسلمين واجمل غنائه الذي مع زعيم الهند الروحي في مثال نشرته جريدة «فلسطين» «اليافية» ، وعاد الى فلسطين وطمه يرسم الهاتنا غاندي موشما بتوليحه . وتركت تلك المقابلة التاريخية في نفس «عقل» ابلغ الاثر ، وكان لصورة انتمية الحية التي لهما في وجه الهاتنا غاندي القوى العوامل التي ساعدت في تفكير مستقبله .

وفي عام ١٩٢٨ سيم «عقل» شمساً في الكنيسة الانجيلية الاسقفية العربية في فلسطين وعمل في نابلس ورفيديا وبعد عام نزل الى رام الله وتكلم بين هذه وبين القدس ، وفي عام ١٩٥٠ سيم قساً وعمل في القدس وبيت لحم لم نقل الى بيروت عام ١٩٥١ ، وما لبث ان التحق بالجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٥٥ واكمل لواء القردة لدرجة (الاستاذية) في الفلسفة لكن طرفاً فاصراً حال دون تقديسه اطروحة لهذه القردة .

من أبرز خصائص هذا القس الوطني صراحة لا تضاهيه صراحة ومجاهرة بالحق من آمن به وحرب على الباطل متى رآه يصول ويعيد واعرايا من نوازل نفسه شرع في نشر مقالات استمت بالوثنية الوطنية وصرخت اسرها الى الصيرير العالي شارحا قول الخبث الفلسطينية والظلمة التي اتأخت بكتلكا على صدر وطنه القصبوب ، وشعبه المكلوب . وما لاح له فرصة الا اغتياها لشرع هذه التلمذة الانسانية التي لم يرد التاريخ لها مثيلاً والتي ستظل لحظة عار قس جيسين الانسانية حتى يصبح الخطا وباحد العدل مجزاه !

ولصيرا من اشواق القس تنطلق في صدر هذا العربي الواسي اسهم في تحرير طائفة من الصحف والمجلات الفلسطينية ، وحضر في جريدة «فلسطين» اليومية عام ١٩٥٠ بآبين هما «حديث الاحمد» و «من هنا وهناك» كما حذر ثلاثة ابواب في جريدة «الخبار الاسبوع»

في «في الصميم» و «عند المتحف» و «مساب وعود» و «بوليع (ع.ع.)» وثلاث زوايا هي «من الثالثة» و «معوج وادخال» و «لغات الاسبوع» بتوليح «ابو ابراهيم» كما حذر ايضا ثلاث زوايا اسبوعية في جريدة «فلسطين» هي «من حديثنا» و «خاطر توجيحية» و «احداثيات» بتوليح «عين عين» وحذر في «جريدة القضاة» اليومية لزيتون اسبوعيتين هما «على درب التضرع» و «من الفجر» بتوليح «ابو ابراهيم» وحذر بابا اسبوعيا قس جريدة «جروزاليم ستار» اليومية التي تصدر بالانكليزية في بيت القدس بعنوان «ثلاث الاحد» واذاغ من «ادامة الشرق الانسي» مرتامجا يوميا لآثر من ستة بعنوان «صباح الخير» كما اذاغ من «ادامة كندا» طائفة من الاحاديث من الاراضي المقدسة وتراث الشرق الانسي .

وعندما يتصدى هذا القس الواسي للحديث عن القوميات والشعوب يعتز باصالة الانسان العربي وطيب اروته ويغادر بتاريخ الامة العربية ويؤمن بوحدتها الكبرى ويتصور هذه الامة كما هو افضل طميا واجتماعيا لتشكل الكتانة الجديدة بها بين الامم المتحضرة الواسية .

واسهم القس عقل مع زملائه الامم فلسطين في ترويح «المجمع الانجيلي العربي» وبدلوا الجهد منذ عام ١٩٥٠ فاشتمل تطبيق هذه الامنية القومية عام ١٩٥٨ باستقلال شخصية هذا المجمع عمن الاتكيز واشراف العرب الاتكيزيين انفسهم على ادارة شؤونه المكتسبة وتصريف اموره الواضحة .

ومن الانصاف ان نقول : لقد تركت الكتبة الفلسطينية في نفس هذا العربي المؤمن الواسي جرعا دافيا . ففي الثورات التي شب لهاها على لى فلسطين المنهج وكدوه في اولها ، وكان بيت والقدمه المرحوم ابراهيم عقل احد ملجأه الشجور ، وكان شقيقه الطبيب الانساني الدكتور فري عقل يرثى الكهوف والجبال ليعالج نوار بلاده وينادي جراح المناضلين العرب .

ورقاً ما كساب فلسطين من نصص وآلام ، وما اثناب التمسب العربي الفلسطيني في تدبير وتبريد قتل القس عقل يؤمن بعدالته السواء ويقر القلم وعوده الحق الى نصابه . وقبرى يذكي في نفوس مواطنيه شعله الامل ، وبطابيحهم بمخالات نيلس لثلالا بالقد المشرق ، ويؤكد لهم ان الوطن السليب سيسود لاهله ما دام ايمانهم بالتمسب العربي الفلسطيني فن يتزعزع !

وفي راي هذا الرامي الواسي ان ما من امة بلغت حرية السيادة التامة والجد المائل الى واعلات الكثير .. الكثير .. في مرحلة الكفاح.. ومضاهي الامة العربية بما فعل باتورات الفلسطينية المسلحة منذ اعلان وعد بلفور . وقد يعتقد البعض ان مرحلة الطفاني هذه قد طالت غير ان الحقيقة ان سامة الميلاد لم تكن بعد !

والقس عقل مواقف تاريخية في الدفاع عن القومية الفلسطينية في عدة محافل وندوات عبر الهند واوروبا وكندا والولايات المتحدة ، وقام بتؤدة مالية عند محاولة «الترديتال بيا» لبرلة اليهود قس في المجمع السكني الذي عقد في الفايكان عام ١٩٦٢ ودعا في المؤتمر العربي المسيحي الذي عقد في اريحا الى عروية نهر الاردن والاقباله عليه غريباً .

وفي كل محاولة بشير الاجنبي بسبائه التفرقة بين الشاينيين العربيين كان القس عقل حرياً مؤثراً على تلك المحاولات ، ايماناً منسبه برابط القومية العربية ، وقط يدعو الى وحدة هذين الشقيين ليفضا عقيدتهما السواءة سداً منيعاً في وجه امة طفيقة العارضة او لفسفة عادية مستودرة ، فلا راي التي كانت هذا اللعلاق المسحاء لستمرخ لاهلها لينسوا في وحدة وثقوا وليلقوا نارية تهدي بها البشرية جمعاً والصهيونية ، في راي هذا القس المؤمن بربه وبشعبه ، ليست فكرة طارئة او نظرية سياسية مستعجلة ، وانما كانت وما زالت لتلك

الروح الحبيبة التي بدت بكرة القرد في صمتها وسلاحها «التلودا» الذي يقول ان بني اسرائيل وحدهم « شعب الله المختار » وما عداهم من الكسوف » « دواب ويهائم » !

وتسترد البشرية زوجها يدعو القس عقل كل مؤمن فسي الشرق والغرب لاجل علي « اسرائيل » هذا الوحش الرب ، ولا يرى سيلا لذلك الا بانفاق العرب ووحدة صولفهم واستغلال طاقتهم واستعمار مواردهم الطبيعية للغذاء على هذا الداء الطيب والورم البليص . وفي سلاطة صبحها وسدا يدو الله ان يخل في اجله لتكتسح عيناها بيوم النار من الصهيونية اليابسة المجرمة ، عندما يسهم مع اخواته في دفع ثمن خلاص فلسطين وتوفير القوة لوحيد « ابراهيم » والجيل العربي الصاعد .

من اناره القليلة : لم يودع القس عقل صفاف الحروف مؤلفا من مؤلفاته المخطوطة ، ولقد اعد كتابين للطباعة هما « ايقاع الجوانح » و « عند المتعلق » .

بولج من ثره :
« التقي احدهم ذات مساء ، بغير يعلم مصباحا غمضا ... فاستوفته رساله من نفع التور لشخص مثله ، فقد حاسة البصر بالرة فاجاب الامي : صحيح انه لا يبينني شخصا ، وانا لا احصل الصباح لنفسي ، بل لفيري ، حتى يراني هؤلاء فيتنجبوا الاصطدام بي .. و .. كم من التاني لهم اعين لتفكر ، ولا يظفرون .. وكمن من الذين يصيرون فعلا ، لكنهم لا يتصورون ..

لري ! اي صنف من المواطنين انت ، يا اخي ؟ واي نوع من النظرات تحملها عينك لتزورها على الاخرين ؟ هل هي نظرة الاخوة والرحمة ، ام القدر والقسوة ؟ وما هي الانشغالات التي يشغلك بصره ؟ هل هي انشغالات الصغينة والفكر والصدد ؟ ام انها شيوخ الانسانية البهية ، والرق والصداد .. ؟

ولكن ، من اين هذه الانشغالات ؟ وهل مجرد العين مصدرها ؟ ام ان هذه ليست سوى مرآة تعكس ما في البصيرة من اراد ودوافع ، وما في القلب من نوايا ولوازع .. ؟

هذه الاسئلة ، وعشرات غيرها ، خلطت في بالي طيلة الاسابيع التصرم .. وكان يمشي اكثر من حادثة عابرة ، او خير .. فاننا شخصا نمرعت لامة نسبية غريبة كنت احاول فيها الصعود امام نظرات خيري المشحونة بالنميمة والاذي .. ولولا مصباح الزبنة والايمان والرجاء الذي رفعت في وجوههم ، لتشتروا بي ، وداسوني دون هوانة تحت اقدامهم الموحلة ..

وفي مدينة جيلون ، اسفل معادنة سرقة بعض اواني كنيسة اللاتين هناك .. خير ان ما اتقي فعلا ، هو تطور العكازة لفة ، بصورة ادت الى الة بعض التحيزات المستوردة ، والتفردات المستعانة مما نحن في غنى عنه ، ولا قدرة لالسة الاردنية الصغيرة الكعاسكة النامية على تعلمه ..

وفي بيروت ، كانت تلك النظرات المستهتره الجائبة ذاتها ، ان تصعد ببيان التشعب اللباني الواحد ، بسبب حفاة تعرف استلدا اجنبي في الجامعة الاميركية هناك .

حتى ولو كان تعرف مثل ذلك المخليل مقصودا .. وهذا ليس واردا كما فهمت من مصدر مسؤل - كيف نسبح لانفسنا نحن اهل البلد في لبنان ، او اي بلد عربي اخر ، ان نسلك مسلكا عاطليا ارتجائيا يزعزع وحدة شعبنا ، ويؤثر سمعة امتنا .. ؟

اين البصيرة صفنا ؟ واين دوافع الاخوة في لقوننا ؟ لقد تعبت ابدي بعضنا من حمل الصاعير في جوهه غيرهم .. اما من نهاية لشل هذا التشر العاطلي الرخيص المكتني بين مواطن عربي واخر ؟ ام ان ازمة شعبنا العربي ما تزال في حقيقتها أزمة بصائر واخلاق اكثر مما هي

تعد وجهات نظر ، وقرآ ؟

من اساطير الاقدمين ، اعتقاد بعضهم ان الكرة الارضية تركت على قرني نور هائل ، مما دفعهم بالتالي ، الى محاولة تفسير الاحداث الطبيعية العظيمة كالكوارث والبرق ، على ضوء وضع الارض الخطر تحت رحمة ذلك التور ، وبالنسبة لدرجة هيجانة وجوهه ..

واتي لاسمال هناك - في عصر النور والتحرر ، الى متى نقبل على اقتنسا ان تربط مصيرنا بهذا « التور » او ذلك ؟ ؟
نموذج من شعرة : في ١٥ ايار من عام ١٩٤١ ، ومن كل عام ، علاوته ذكرى التكية الفلسطينية الزرعة ... ذكرى يوم اسود ... اسفر من بيع فلسطين العربية بابض لمن فقتسا هذا الوطني المؤمن بقول بلسان « الاطباء » :
وحدي انا وحدي اسير
مير المدوب الكالصة
صوب الربوع الجانصة
لا فجر يبدو لا اصيل
في جملة الليل الطويل
فافي الاسى عز المسير

وحدي انا وسط الخيام
اجتر عار التكية
اشوي نثار التقيمة
او يدركون لوتسي
ابناء قومي اخوتسي
حتى متى العسر ينام ؟

وحدي انا وسط الخيام
اجتر عار التكية
اشوي نثار التقيمة
او يدركون لوتسي
ابناء قومي اخوتسي
حتى متى العسر ينام ؟

هل ياتوي بياوي يوما تعود ؟
هل استوي في فري متوي الجسود ؟
اين يعود القوم اصحاب الوعود ؟
اين اخي ومن سيجتال الصعود ؟

.. لست وحدي في الطريق
الله لي غير رهيبك
في الفرصة المناسبيه
لشار والحاسيه
تعب الدبار الساتيه
اتقي للعود الاخير

٢ - مصطفى دويش الدباغ

في بلا ام الببل واللداء ، وعروس التضحية والطاء ، ولد «مصطفى» سنة ١٩٠٨ ، وبلغ السابعة ادخله والده مدرسة «نادر العلوم الاسلامية» في عهد مديرها عارف البديري . وقد تميزت هذه المدرسة بايمان الطلبة القمتزة فيها وبنوعية من الفاضل المرصين امثال : عارف البديري ، عيسى السفري ، جميل الخالدي ، الشيخ بدیع الشرفاوي وغيرهم . وبعد ان اتى « مصطفى » الصف الثاني الثانوي فيها ركب والده في الحافه « دار الطين » في القدس لكن صغر سنه حال دون هذه الامنية .. فانتسب لمدرسة انكليزية بيافا واكمل فيها تعليمه باللغة الانكليزية ، وبانتظار لتفتحات القادبة التي يستهدف لها طالب العلم خارج فلسطين من « مصطفى » كتابا في محاكم يافسا واختلاط عمله هذا عكس على القاطلة ، فوقع بقرارة انار الاوائل والشوامل والهوامل والمقايسات والامتع والمؤاسنة لابي حيان التوحيدي والحيوان واليخلاء للجاحل والار الاواخر للصاد والرافعي وسطران وسيد تقي الدين ، واتصرف الى اكمال تعليمه باللغة الانكليزية ودرس على

النسيخ سليم اليعقوبي الشاعر اليافعي المعروف بمبادئ علم البيان والديبع . وفي سنة ١٩٢٥ صدر «ديوان الزركلي» للشاعر خير الدين الزركلي وديوان «الطليعة» للشاعر الرجوع إبراهيم الديباع سنة ١٩٦٦ فاستطرحهما «مصطفى» الذي حياه الله ذاكرا عجيبة .

والجبل على قريش الشعر وكانت باكورة تلمعة قصيدة رجب فيها بيلسوف الفريكة أمين الريحاني عندما زار بافلا سنة ١٩٢٧ فلاقتت حبلى أهل القلم وتغير ذلك الغزل الأسر الذي شجعه على نشر منظومه ومقالاته الأدبية والتفدية عن شعرنا العاصرين في أهميات صفت يافا .

وفي سنة ١٩٢٢ فتمت مجلة «أبوللو» لصاحبها الدكتور أحمد زكي أبي شادي صدرها شعر الديباع وانتخبته «جمعية أبوللو» الشعرية عضوا فيها والتبري ينشر مقالاته في «السياسة الأسبوعية» القاهرية وفي «المجهر» اليافعية . ولقد استلمت بالوطن لسانية ووجدتها «وفي سني الحرب العالمية الثانية اشرف على تحرير الصفحة الأدبية في جريدة «الشعب» اليافعية والصفحة الأدبية في جريدة «الحرة» اليافعية» ونشر مقالات تناول فيها شعراء فلسطين بالإضافة إلى أبحاث اجتماعية وأدبية .

وخلال عمله في معارك يافعا التحق بمعهد الحقوق في القدس ونال الشهادة سنة ١٩٢٤ ومن رئيسا لكتاب محاكم الصلح يافعا ، ولقبيل انتهاء الانتداب نقل رئيسا لكتاب المحكمة المركزية في نابلس وبعد توحيد ضفتي الأردن بين رئيسا لمحكمة بداية نابلس ومنها نقل قاضيا لمحاكمة من مدن الأردن إلى أن استقر قاضيا في محكمة الاستئناف بالقدس . وفي عام ١٩٦٥ أجبل على التقاعد فإبرح بيت القدس إلى عسسان وانطاعها مفرأ له .

من آثاره القلمية : كتب «مصطفى» الكثير من المقالات والفصول ونظم عشرات القصائد لكنه انتخبها في مكتبته بيافا وقد آل أثرها إلى اليهود ، ورغم التكية الكفراء التي أجنحت الوطن المنصوب قدم «مصطفى» لمقارعة العربية :

١ - وهي الشاعري : مجموعة من المقالات الجبانية .
٢ - من الأمثال : مجموعة من المقالات الوجدانية (مخطوط) .
٣ - وهي الرباع : مجموعة من قصائده (مخطوط) .
نموذج من شعره : نظم «مصطفى» قصيدة موقلة بعنوان (البلاد الهدي) وفيها يعاطف التي العربي الكريم بقوله :

يا أيها (الهاذي) أنرت جوانحي
ملك البليين متناصري فاسألها
طوت في الماسي في ألامه
لما عززت الشرف في دارك
سلوا عليك من العزائم صرورا
فلذا ألتنا بفتات من شهورهم
ومنا :

من كان يمدح العتيبة مغفورا
ويرقى في جلباته الأصواد
لأن الخديبة له وطن صافيرا
وجبل يجرس دماه استغفاد
ومنا :

كالحوج يبرأ بالموافق سامقا
لا خاشيا يرفلا لا أنواد
من اللقالل له السواد تطلوا
فكان في كيد السواد سماء
ومن قصيدة موقلة بعنوان «انقام جزية» اتشد الديباع :
علي أرى فيه شعاع حيائي
فاصول مجترنا على غشواتي
مثل الرياح الهوج في الفوات
أصل النفوس وجامع الفوات
غير الفراق يليس من قبائلي
جذابة التفتحات والبسمات
وبشرها الطسوط بالمشككات
بعد امتلاء الفوضى بالفتنات

ومنى من الأمال كان لها صدق
أوسم البشري ويراقف تفرعها
فلوت زهر الرضوي في ريعها
ومن مولات الديباع قصيدة بعنوان «أين زبون» «الوليسر والشاعر الاندلسي ومنها :

وقوى الهباب إلى ربي اشيلية
والربح لصر في الفلاة ملاحلا
هي كل هامة يحس يد الصدا
حتى إذا طلع الصباح بشكرا
لحن الكسي الشياحا ورأى بها
فلدت تعبد له الباب لثامها
ومنا :

من كان في حب العظام مضمه
فالعب يدفع للماطق والسدى
نموذج من نثره : «وكان القتي مستغفرا في عمله ، ذلك العمل الربيع المراقف خلف بيته وبين أمانيه في الحياة يقطع انتفاها في نابها ، وكان صراع بين نفسه وبين ذلك العمل فهو من مشاق الحرية القلبية في أقصى حدودها ، وعمله يقد سدا أمامها ، كيح من اندفاع أمامها . وفي كل يوم تتحد الحركة بين الحرية القلبية والعسل المهدود ، ويسقط القتي صريحا مسجي تتساقط نفسه إلى ، وتنتزى حسرة وكما وأنه لينهد الحرية الصرية نفس نفسه وغير قادر أن ينشلها من هذا الصت والارهاق وتلوح آثار قلبه الضامي ، وحريته الصرية مرسومة على وجهه ، وفي الحركات المرتبكة التي تصمد منه ، وذلك الاشارات واللغات الغريبة تحمل في مطاوعة الآم والعربية اللطيفة التي قدما في ساحة طولته وعشوان شياها .

وكم يرى مستغفرا في عمله ، وثقت أمانيه في حسرة وانتكاش تندب حظها الصائر للماطق في اصابير القفا ، وبين هذه الاوراق التي اعلاها انبار ، الحقن من طقوان البشيرة الوفاة متعددة وإيبي مدها الاود الانطاس أو القلاسي في عالم الانهاية ، لان عشوان البشرية العايس ، وقساوتها الصمات ، قد حولة من هذا الحداد الاود ، نمونه بالسواد كما شامت منه بآقة انطاس أو خبطة انتكاش ...

وكان القتي يلهم مهازيل العايس تتصارع في علف ، لم لتتلسي متكسفة في مجرى ديوان عمله ، لم تتجمع اوراق وصحائف يباسد ، أو صفراء ، فيوزل مع الهالزين ، تارة تراه تنكها من مرارة الحياة ، وتارة مستغلا ورحيما ، وطورا غامبيا صاخبا ، وتارة لا مباليا ، فلكه وقد التقت الحياة أمام حنيه ، ولها يحسه واسبرت له من كياتها الضجج ، ووصل إلى الصميم من معقلها ، لم يجد شيئا أمامه ليجيب فيه حنيه وقلبه ومقله خاد يتكلم ويوزل ، ويسلق الناس بالسمت خاد . كان هذا القتي مرهف الحسى ، شامري القلب ، والمؤاد والازاج ، يتالم النفوس العربية الضميمة تهزم وهي مدحورة أمام القوى العتيبة التي تماركها في ميدان الحياة فيتالم لهذا الصراع الضيف ، ولهدا الانجذاب الكاسح ، فيقف في صف الصفاد ، يدافع ضمن العربية السلوبة ، أمام القوى العتيبة ، بعد فهم يد الفتوة في رفق وقسي السراء والفراء ، وكان نفس الانسان نابي جبروت المتكلم في القيسر يتدفع وراء الصفاد فيسلجهم الحرية والهداد ، تفتك الزروة مولف الكدافع ليرد للصفاد حقوقهم المسلوقة وارادتهم المنصبة . وانه استغرق في احلام بقلته ، ومنذع وراء التقاط صور نفسه مفتتة في حلها القلاد الزلم ، فلذا يصديقه الغالب عنه ، والذي تجاهه عدة عاين ، يقع عليه جل احلامه يفرقه باب فرقة ، ويعقد القلي بيافها فلذا بوجه الصديق صديق الشيايح والحياء النفسية ، صديق الادب والشعر يصيحه تحية الصاب الخائف من صدمة تظبية يفتها القدر في كمة ، لم ينثرها في وجهه . وفي التفتة بارعة نسي القتي ما كان مصدرا للجنوة فانطلق يصيح صديقه تحية ايناس وسعية ، وعانقا بعتنان ورفق ، وقد فسم علقهما ذكريات حبة من الزمن لما فيها الحياة

واندفعوا في بحرها الطامي يعان من صلعها وعن كثرتها ما شابت الحياة ان تدفع له الجمها .

وجلس الصديق الى جانب صديقه ، وكان صمت عجيب ينطق بحدث يتناقض حيوية ، يتدفق في ساحل الشفاء تلمس الانساب فيطويها الطويل فيريد صارخا متماسكا يتدفق في لظلمات الصمت لوبا متماثلا ، تنطق به الصيون والاناس والوجوه الصامتة المتكلمة . وشاء الختي ان يصاب صديقه صواب الصمت ، وكانت به سحابة وثائية فاندفع الى مشرب في اطراف المدينة تعيط به حديقة لثاء ، وكانا يخلطان الى هذا المشرب الذي ركبته يد فلان صناع ويتقايان فيه اوقات لوهجها من ادبهما يتناهمون في حرف الاقارب ورفس القيان ، وكانت الموسيقى العزوة والطروبة تلمس الشفاف من فلوهم ، وهم ما بين رابوة للشعر والاب او مبتكر تكتة ، او محدث تصلي له الانفاس والقلوب .

وهناك بين لقلل تلك الحديقة القضاء ، اخلت الذكريات القديمة تطل من مرفعها ، تلمسها الحسان الاشجار الوارفة والاوراق المتلصقة ، وكل شري في المكان يدعو للبهجة والسرور ، لان اشباح الفكر الجيعة اصابت في المكان وشاحا لطيفا كله سرور ورحم وانيس ، وقد نظرت نفس الصديقين وارقا في حديثهما ، وانهما كذلك واذا بالقدم يسأل صديقه في لطف وحذر قائلا : لقد تكت اشعر لالتقائي والوحشة قبل ان احضر الى هذا المكان ، ولكنني يا صديبي سرعان ما اتفاح هذا الامام عني ، حين حضرت معك الى هذا المكان احسست بالسرور وبلغت فرية الزالت من نفسي فشادة الالم ، فتفتحت كما تتفتح الوردة فسي ظل اللهب وهو يتسهم لها ويداعبها برفق يطق حريتها العبيسة من اللثة البرام والاوراق ، ولا احسوف هذا الامر سرا فهسل المكان والذكريات ملاقة في هذا الامر !!

فقال الختي : لقد شعرت متلك وثا في هذا المكان بانني خلقت من جديد ، وانني رجعت الى مصادق شياني ونزعت مني ما وان عليه من اموام جديدة ، والان اؤمن بطلوع الزمن الفسيفسي فاني الان ليح الامس المصمود التنايا الجمال في اموام نفسي ، اقد طرقت منيبي الاموام الجديدة وتغلقت بالاسي ضاد ، الامس حاضري ، واني لاؤمن بالكان وفي مطرح الذكريات القديمة الفاضحة ذكريات الشيب الصائب الصاحك التفتح للعبية . . .

ان المكان والذكرى تلمس الحاضر ، وتحيي الامس ، واني لاؤمن بالزمن وانطلاقه في بحر عالم الوجود ، فهل يرسل الذكريات مسمن عرافها سواء كانت عابسة دكاء ، او ضاحكة زهراء وذكريات الاسم يبعجها الزمن في اعماقنا اذا دلت ساحة ذكراها في النفس ، ولصمق الذكرى في النفس وتتجسد فتلمسها في الحاضر تنوف فوق بحسره الطامي وتعلق النفس خلقا جديدا .

لقد استغرق الشبايان فسي حديثهما واستعرسا ذكريات الامس وعاشا في منطفه الهيج ، وتفتحت امامهما الحياة كما تتفتح الايلة القنطرة من غير زاهر وانجوم سواها تلالا فسي اجوام حسدا الفصاء الترحيب . لم دلفا الى خارج المكان فلما بوحشة غريبة نفس تفسيهما مسا عتيقا وارتد الحاضر في يده معول ليبحث الذكريات القديمة ويستلهمها ، فالتصير الامسي الى عالم الابد ، الى عالم النفس المحيق مغتلبا من العيون والافئاد يشتملها مغزلات ساطرة وهيون تغلف الشتر ، وكناية خرساء تصلي على التليل اشجائنا في لادشجان . . .

٣ - ابراهيم مطر

من عرف ابراهيم مطر عرف فيه ادبيا اصيلا وصاحب قلم خصب اصفى على لغة الفصاء متلفة من المراتب وزين رفوف الخزائن العربية بشتى المؤلفات ونقل الى ام اللغات روعان من الادب الغربي . ولد ابراهيم في بيت لهم المرونة الفائلة وعقلى دراسته الابتدائية في مدرسة شتلر - تسمى مدرسة شتلر وسمى لادار الايتام السورية وقد اسماها يوحنا لودفيج شتلر عام ١٨٦٠ - ومنها انتقل الى مدرسة

شتلر في بيت القدس وبعد ان تخرج منها انتسب الى دار المعلمين في القدس في عهد مديرها الدكتور خليل طوطع وامضى فيها خمس سنوات - ١٩٢٢ - ١٩٢٦ ، ونظرا لذلكه ولثامه بثلاث فترات حية هي : العربية والانثانية والانكليزية اخواته ادارة المعارف العامة بالقدس في رتبة الى الجامعة الاميركية في بيروت ونال عام ١٩٢٩ بكالوريوس اداب بامتياز في الادب الانكليزي لم عاد الى فلسطين وعين معلما في ثانوية الناصرة وظل فيها حتى عام ١٩٣٩ ، وبمهدا نقل الى يافا معلما للادب الانكليزي في الجامعة .

وبعد حدوث النكبة الفلسطينية دعي الى بيروت وعهد اليه بتحرير مجلة « النشرة » التي تصدرها الارشادية الاميركية وادارة مكتبة « المشعل » .

من آثاره النظمية : نقد الانار التي تحمل اسم ابراهيم مطر بباريمع الرا . ودونكه اسعاد ما اتبع لنا الاخلاص عليه :

(١) الترجمة المختارة بالاشتراك مع حسين غليم . (٢) مبادئ الترجمة . (٣) الترجمة المختارة . (٤) الترجمة العالية (بالاشتراك مع جميل سعيد) . (٥) الترجمة المصنعة في ٢ اجزاء (بالاشتراك مع فيليب صايغ وفازر الياس) . (٦) كوكب ورواد . (٧) مقطوعات البحر لبيت . (٨) قصص من الادب العالمي . (٩) ١٠٠ قصة . (١٠) لغز الحياة (١١) قصة ال ماير (١٢) الانسان ومشكلة الالم (١٣) هؤلاء خدموا الترق العربي في بده نهضة . . (١٤) الكتاب المقدس فسي اللغة العربية . (١٥) واحداث الرووس .

(وابراهيم) أحد محرري « قاموس الكتاب المقدس » (ولقد صدر في جزئين) بالاشتراك مع الدكتور بطرس عيد الله والدكتور جون طمسون ، وتكتب مقدمة هذا القاموس الدكتور بطرس حني ، ونظرا لظرافة طبعه اسهم في ترجمة « اللانة الدينية » للموسوعة العربية البصرة التي صدرت في القاهرة عام ١٩٦٦ .

نموذج من نثره : « تاللي نسر وقيرة على صفرة هائلة فوق احد المرتعاف البصرة الفيرة الضوشت بتحية النسر ، فقال لها : - كيف هجرات طيركائتي واننا ملك الطيور ، الا تعلمين باننسه لا يجوز لك مخاطبتي قبل ان اهدأ بذلك ؟

صاغت الفيرة : اعد غلشت لنا من اسرة واحدة . فتطلع اليها النسر بازدهاء وقال لها : ومن اخبرك اننا من اسرة واحدة ؟

قالت الفيرة : ذلك لانني استطيع ان اخلق الى العلاء بقدر ما استطيع البت ، وزيادة على ذلك ان في وسمي ان اشوق يبعث الانظام ، فاطرب من يعيش ملي ارشنا من مطلواتك ، اما انت فلا تستطيع ان تجلب المسرة لاجد من التماس !

غلبت الفيرة وتنازع لم قال : لكن لا تنسي اينها المطولة العظيمة انني بوفرة من منسري استطيع القضاء عليك !

وقا دار النسر حجت القيرة على لفره واخلطت تنتف بعضا من ريشه ، فطق عاليا ليتخلص مني لكنها قلت معنيبة لفره . واخيسرا عاد فطع على ذات الصغرة التي طار منها ، ولكن الفيرة بايت متمسكة بقلصهره ..

وعمرت سلطفاة من تلك الناحية فجلب نظرها هذا المشهد القريب ، ولعالم استغرقت في الصمك . . فتطلع اليها النسر وقال : المسكين حني يا من تيسين زاحفة على الارض !!

قالت السلطفاة : عسكت لاني رايتك استجبت الى حصان ، الا ان صفورا صفيرا اعطى لفره !

فشاح النسر برأسه وقال : انحي في طرقتك اينها السلطفاة ، ولا تتدخلي في شؤوننا . . فلهذه مسالة عالية تخصني وليس القبرة اخي ! (عرب هذه القصة من كتاب The Wanderer ليجبران خليل جبران) .

الى روح نظير زيتون

وهذي سيوف العرب منا تقصف ؟
وتحسن بأخلاق المصائب اعرف
على الدهر .. ما دامت هنالك احرف
كأن الذي تحكيه در مؤلف ؟
ومن بعرك الرخار كم كنت تعرف ؟
ولفلك بالعمى الجميل يغوف
واطربت حتى قيل : انك مسرف
ويهدأ مشتاق ويسكن مدنف ؟
وانت بأبكار القلائد تطرف
وكتت بأمجاد العروبة تهتف
وكان سواد الشعب في الجهل يرسف
على غير هدي بالمسيرة يصسف
وكتت مزارا حوله الناس طوفوا
وابن الذي بالاس كنا نؤلف ؟
ونحن على كشف الحقائق عكف
وانت عن الصرم المشتتت تقصف ؟
فما لك لا تصفي الينا .. وتظلف ؟
وكانت بنات الفكر حولي ترفرف
ومن كان من روض الازاهر يقطف
على مثل هذا البحر ناسي وناسف
تقليد من معنى الهوى ما تقلسف
وتلفحها ريح من السقم حرجف
لئلا عيون المساء تبكي وتلرف
فكان عن الاسرار والصحب يكشف
تكاد بها نفسي من الحزن تكلف
وواحررتا ممسا الياالي تكلف
على جدت بالظهر والصدق يعرف
نحن على الكتاب مننا ونعطف
حجارتها السوداء أنسدى والظف
يكاد لهيب الشوق في الصدر يعصف
وأطفت الانوار والناس اوصفوا (١)
فلا كبد تبقى ولا القلب يشرف

لمعرك ما يجدي البكا والتلف
نهادن دهرنا من طيانه الغنى
وحقك .. لا اريك .. انت مخد
فاي حديث لم تجل فيه فارسا
واي مقال لم تزنه بمنطق
تعيد الى الفصحى مطارف نرها
سجعت كما غشى الحمام قصائدا
وكيف لطير الايك ان يجس الفنا
وحب بديع القول فيك سجية
مغررت بحور المعز ترفع شأنها
وافنيت عمرا بين طرس وفكرة
فاوضحت ابصار الطريق لساتر
وكتت منارا في الدجنة ساطعا
« نظير » العالي .. اين منا مجالس ؟
نحقق قولا او نهيم بفكرة
ااخلفت عهدا كان بالاس قائما
عهدك سباقا لكل مليحة
وفقت على « العاصي » وفي الحلق غصة
اسائل عمن اتلسج الصدر قوله
فيجوابني « العاصي » الاسيف وقال لي :
وسالية عند « الدوير » (١) لقيتها
تجوب باطراف الحقول حزينة
تسائل عمن الف احب انينها
وسرت مع الصنصاف اسمع همسه
يقول : مضوا واستودعوني رسائلنا
فوا اسفا اذ فرق الدهر بيننا
أخي .. ان ما اففيه دعة شاعر
توسدت احجارا رجاءا (السيينا) (٢)
فيا ظهرا برد ثرائنا فانمسا
ويا نسمة هبت من « الوعر » (٣) خفتي
ويا « احصي » أنغاب البنون عن الحمى
هنالك في دار الظلود لقائنا

- (١) منتزه قرب حمص ، على سفاد العاصي . (٢) هو الشاعر نسيب غريزة . حيث يقول :
يا شوق قد طال البعاد من الوطن
هل مودة ترجى ؟ ولقد فلت اللحن
عد بسي الى حمص ولو حشو الكفن
واجمل غريبي من حجار سود
(٣) منتزه قرب حمص طيب الهواء ، ظالا تنفي به الشعراء . (٤) اوصاف : سار صرعا ..

عبدو مسوح

حمص

كانوا لثلاثة جنود اسرائيليين مسلحين وقد اترسعت على وجوههم امارات السخط والحدق . مشوا على الحجارة المساء المرسوفة بها الطريق الضيقة التي كانوا يسرون عليها . الطريق المؤدية الى دار فهد محمود . لم يسجدوا بياض بشرتهم وزرقة عيونهم ولباسهم وامتهم مع الجسو المحيط بهم . مشوا تحت سقوف تعلوها ابنية قديمة استطاع الرمان ان يفتت وجوه حجارها ويفسسى الانسجام اللامع على صفحاتها ويحوله الى عيوس اصفر غامض . ولكنه لم يستطع ان يغير طباع ساكنيها واخلاقهم . ما زالوا اشداء غير يتقون بنفوسهم ويمتزون بعنادهم ويحبون مدينتهم كما يحب احدهم والده وامه واخته او زوجته وابنه وابنته . واخيرا توقف الجنود الثلاثة بعد ان لفظ احدهم بضغ كلمات صيرية و اشار باصبعه الى دار منخفضة الباب قائلا :

— هنا . هذه هي دار فهد محمود وقال جندي ثان :

— يجب الا يقلت منا هذا الرجل المشابب . ان الدور هنا صغيره ومتلاصقة ، فقد يقفز من سطح الى آخر وينجو منا . وقال الثالث :

— ان رايته يفر قتلته . وطرق احدهم الباب طرقا خفيفا . فانبعث صوت امرأة من الداخل قائلا :

— من هذا ؟ فاجاب الطارق بلهجة عربية مبهمه :

— أنا . افتحي ! (اسرعي !) . فداخل المرأة خوف من لهجة الطارق ، وقالت بلهجة مستنكرة :

— من انت ؟ (ان الصوت ليس صوت رجل عربي) ولكن الطارق كرر كلمته :

— افتحي (اسرعي ! اسرعي !) . ماذا تريد ؟ (لا تريد ان افتح باب الدار . انصرف)

عطف الجندي الباب طرقا حادا قائلا يصوت حاد :

— افتحي ! افتحي والا كرت الباب .)

فتفتحت المرأة الباب جزئيا فسي بعده ، ثم اطلت على الجنود الواقفين وراءه ، فتراجعت في ذعر وادركت انهم يبحثون عن زوجها . سرحا نظرها في وجوههم متفرسة ثم قالت :

— ماذا تريدون ؟

(ان زوجي ليس في الدار) . ولكن الجنود لم يجيبوها بكلمة بل دخلوا الدار مقتحمين ، وتفرقوا في ساحة الدار باحثين بامعينهم ، وقال احدهم للمرأة :

— اين زوجك ؟

الفدائي

بقلم عبد الحميد الانشاصي

(لا بد ان يكون مختبئا في احدى زوايا الدار) .

فخرج ولد صغير يبلغ السابعة من عمره على اثر سماعه سؤال الجندي ، ثم تقدم اليه قائلا :

— ابي ليس هنا . انتم غريباء . اخرجوا لئلا يعلم بالامر حينما يعود الى الدار فيقتلكم . فتبادل الجنود نظرات مبتسمة . ثم كرر الجندي سؤاله للمرأة :

— اين زوجك ؟

— ان زوجي ليس في الدار .



لعد حرج مرأوله عمه . (لقد فشلتم في مهمتكم فانصرفوا من هنا) .

— ما هو عمه ؟

— انه مزارع .

ولكن الجنود لم يصدقوها ، ودخلوا غرف الدار مقتحمين في دقة واهتمام فلم يعثروا على فهد محمود . ثم صعدوا الى سطح الدار باحثين فلم يجدوه . ولما حبطوا الى ساحة الدار قال احدهم للمرأة :

— اين ذهب زوجك ؟ اخشى ان يكون قد فر من الدار . فحدثته المرأة بعين ساخطة ، وقالت بعد برهة مؤكدة كل حرف لعلته :

— قلت لكم ان زوجي ليس في الدار . (انصرفوا !) .

فشعر الجنود بغيظ من تصرعها ذلك . وقال لها احدهم مقتربا منها ومحدقا الى عينيها وهو يهز راسه منقرا :

— سوف ترى فيما بعد . (سوف ابرهن لك انك تكذبين علي . وبعد ذلك اعرف كيف اعاقبك) فصاح الصبي :

— الا تصدقوني انا وامي ؟ قلت لكم : ان ابي ليس هنا . اخرجوا ! فهم احد الجنود بالفنك به . فلأذ الصبي بامه . فوقفت بينه وبين الجنود لتحميه . ثم ان الجنود خرجوا من الدار وقد ثقل الفشل على رؤوسهم . وقال احدهم لزميليه وهم يسرون في الطريق الضيق :

— حتى نساء مدينة نابلس واولادها الصغار اجرأنا لا يخشون احدا .



كان الوقت ليلا . ظلمة دامسة لفت الاشجار باجنحتها الغرابية ووسطت شرفها البني اللون على السهول . وكان فهد محمود يسير بخطى بطيئة ولكنها ثابتة ، وقوية

أفقره التي تحتوي على ماكانت المصنع .
أخذ بتلعت يمينه ويسرة مجيلا يمينه
الصميرتين فيما حوله يلتأكد من أن
حرس المستعمرة يبعدون عنه . ولما
أيقن أن المكان خال منهم أخرج قنبلة
من حقيبته وقذفها في غرفة الماكينات
فسمع لها دوي عظيم ملا الجو رميا
كما ملئت الغرفة كتلا متقاطعة من
الاسمنت وغيره . ثم انتقل إلى
مكان آخر من المصنع والتقى قنبلة
ثانية ، فانفجرت فسي مستودع
الحلويات الكبير ، ثم التقي قنبلة
ثالثة فنسفت الصالون الواسع الذي
يعمل فيه العمال ، فتهدم سقفه
محدثا ضجة هائلة . وبعد ذلك التقي
الغدائي حوله نظرات خاصة بسرعة
غريبة . وفر راكضا مبتعدا عن
المصنع . وظل يركض حتى انتهى
إلى بيارة يرتقال ، فقطع بعض
أسلاك سياجها الشائكة ودخلها وهو
يأبث . وقد سمع صياحا ينبعث
من مكان بعيد . أخذ يتجول في
البيارة على مهل وهو يرهف السمع .
كانت أوراق الشجر الخضفر تتحرك
في بطنه في الهواء المظلم كمجاذيف
التيث في اليم إلى جانب قوارب
نوقفت من الحركة . وقد علق
بعدائه وحل نشأ من ارتواء ترسة
البيارة بماء يزيد على حاجتها . إلا
قلبه يخفق خفقانا عاديا . لقد ذهب
القرع الذي سببه الركن في قلبه .
أحس بجوع شديد وظمأ . أن
الطعام الذي كان في حقيبته تناوله
في أثناء الطريق وهو متوجه إلى
المستعمرة . أعمل فكره برهة ، ثم
عمد إلى شجرة كبيرة من البرتقال
وأخذ يتحسس ثمرها وكان أخضر
صغيرا غير ناضج . وكلما وقعت
يده على ثمرة أقطعها وأنهممها
دون أن يترنح عنها قشرها . ثم راح
يتجول في البيارة باحثا عن ماء .
لم يتمكن من العثور على البوبة أو
صنبور هناك . ولكن قديمه غاصتا
في قليل من الماء تجمع تحت شجرة
برتقال . فانبسط أسارير وجهه

« ها أنا أقدم روعي لكم يا أبناء
وطني . أنه ليلثلج صفري إلا الانتقام
لي ولكم من أعدائنا الذين شردونا
وسلبونا دورنا وأراضيها . ما زالت
لك الدور والأراضي عربية بلكرياتنا
فيها وبأملنا العظيم في استردادها
وطرد المفتصبين منها . ما زالت ملكا
لنا بأموالنا وذكرياتنا وأملنا . »

★

— لقد تأخر أبي في هذه الليلة .
أته لم يعد بعد إلى الدار يا أمي .
لماذا جرى له ؟
— سيعود قريبا يا بني ، فلا تخش
شيئا .



عبد الحميد الانشاصي

— أن أبي قوي مقدم يا أمي .
— ما في ذلك شك يا ولدي .
وهو شهيم ذكي يعرف كيف يعمل
من أجلنا ومن أجل وطنه .
ها قد اقترب الغدائي من
المستعمرة اليهودية التي يقصدها .
لقد خفتت الأصوات من حوله .
الناس نيام ولا أحد يتجول في تلك
المستعمرة سوى الحرس والخفراء .
اقترب من مصنع الحلويات الكبير
الذي ينتج كميات ضخمة من
الشوكلاية والمليس وغيرها . لقد
صمم على هدمه . أنه الآن واقف أمام

ولكنها خفيته ، ومتعثره ولكنهما
جرينة . بدأ في مظهر متشرد هائم
على وجهه ، ولكنه كان في داخله
بلا مظاهر . بدلته بسيطة رخيصة ،
ووجهه الاسمر قليل اللحم كثير
الشقوق ، غير أنه يستر تحت بشرته
أعصابا مشدودة وعضلات مكتنزة
نم عليها التماع زجاجي أبيض من
عينيه الصغيرتين الحركتين كأنهما
نجمان متلاثلان بلقيان على طريقهما
ضوءا هاديا . وقد حمل يميناه
حقيبة فيها قنابل ومتفجرات .
حصن نفسه بمسدس على جنبه
الإيمن وبخنجر على جنبه الأيسر .
لم يسمع لخطواته صوت فقد صنع
نعل حذاءه من المطاط القوي السميك
مضى عليه وقت طويل وهو يمشي
على قدميه وحيدا في صمت وسكون
متجها نحو الغرب . قطع الطريق
العام الذي كثيرا ما كانت تسير
عليه السيارات العربية لتفصل
المسافرين العرب من بلد إلى آخر .
فالتقى عليها نظرة متحيرة صعبتها
تهمة صميقة كانفاس بحر يافا في
الليل . ثم مر ببيارة يرتقال واسعة
فوقف أزاها مسرحا بصره فسي
أشجارها الغلظة وسياجها الشائك .
(أصوات من الداخل : هذه بيارة
المرحوم راضي النابلسي . يا لله !
أهكذا يملكها اليهود ويعرم صاحبها
الذي أنفق ماله وسني شبابه وهو
يفلدها بدم قلبه وعرق جبينه حتى
أتمر وتوافات ؟ مسكين ! لقد مات
من شدة تحسره عليها) .
(منظر في الداخل : يأتي راضي
النابلسي بسيارته الفخمة ويقفها
عند باب بيارته ، ثم ينزل منها هو
وأصدقائه . وبعد ذلك يجلسون في
قصر الكبير الذي يحتوي على اثاث
ثمين وتحف غالية . ثم يتحدثون
حديثا طويلا ويتبادلون التكات بصدور
منشرة وإبتسامات مشرقة) .
وبعد برهة وأصل فهد محمود
السير ذاهلا مشغول البال ، ثم
انتبه لنفسه وأخذ يفكر في موقفه :

ارتياحا . ثم انه انطلق على الارض
ومد راسه فوق حفرة الشجرة واخذ
يعب مما تجتمع فيها من الماء . ولما
اروى غليله عمد الى مكان احيط
بأشجار كثيفة الافصان وجلس هناك
ليستريح قليلا . استراح جسمه
ولكن عقله لم يسترح فقد كان يفكر
فيما صنع . شعر انه القى عنه حملا
ثقيلا بعد ان انتقم من اعدائه الذين
سطوا على وطنه .

(اصوات من الداخل : لست ادري
لم يهتمنا اليهود بالاعتداء عليهم
وباوون ان تنهمم بالاعتداء علينا ،
ان كنا نمتدي على املناهم بالهدم
والانلاف قاتم يستدون على ارض
وطنا ومنازلنا واموالنا بالسلب
والنهب . ومهما انقمنا لانفسنا منهم
فانا لا نزال في حاجة الى مزيد من
النشاط لانلاف ما هو اكثر من
المصانع ومحطات المياه والبنزين ،
ولقط القطارات) .

(منظر في الداخل : ياخذ
الفدائي في رفع قضبان السكة
الحديدية عن مساندھا ، ثم ينظر
قليلا فيجر قطار بضائع ، وحينما
يصل الى المكان الذي رفعت عنسه
القضبان الحديدية يتدهور ويسقط
على الارض . ويهتدي الى مستودع
كبير للدخان المدور فيبقى فيه قتيلا
ضخمة يلهبها باجمعه وتبلغ نيرانه
عنان السماء) .

وانه لفي تصوراتھ اذ سمع صوت
صفارة ينبعث من مكان قريب من
يعينه ، فايقن ان رجال الشرطة على
مقربة منه وانھ لابد ان يكون اصحاب
مصنع الحوابات قد استعانوا بهم
ليبحث عنه والقبض عليه . اصبح
الان كتلة من الانبعاث والاستماع .
سمع قلبه يخفق في اذنيه . العالم
كله انتقل الان الى الجهة اليمنى
التي سيطر عليها لاقطة اذنه .

نهض من مكانه فسي سرعة ،
واستأنف المسير . ينبغي له ان ينتقل
من ذلك المكان الى مكان اخر بعيد

وازداد اقترابا من الشبح الاسود
عن رجال الشرطة والا وقع قرصة
بين ايديهم ، وبذلك يضيع تعبه
سدى لكانه لم يهدم المصنع وكانه
لم ينتقم من الاعداء . وبعد برهة
شق نباح كلب طريقه الى اذنيه ،
واذن كان لديهم كلاب الاثر . خفق
قلبه خفقانا قارعا ان كلاب الاثر
تساعد رجال الشرطة كل المساعدة
على الاهتداء اليه . فماذا يصنع ؟
ركض وركض . ابتعد عن الجهة
اليمنى حيث يتجول رجال الشرطة
بكلابهم . وكانت بيارة البرتقال التي
يركض فيها واسعة جدا ، فلم يدر
متى ينتهي الى سياجها فيخرج منها
ويختبئ في مكان لا يناله فيه احد .
نادت صفارة من الجهة اليمنى ،
فاجابتها صفارة من الجهة اليسرى .
فتوقف منصتا وقد شعر بارتباك
وخوف . انه وحيد . لا احد بجانبه
يستشيره او يطلب منه عونا . فما
عليه الا الاعتماد على نفسه . يقن
ان اضعى حراسه الى اين يذهب ؟
لا يترك في رجال الشرطة اعتقادوا
الى لكانه لا يحال ان يبقى في تلك
البيرة . لا بد ان يخرج منها مهما
كلفه ذلك من ثمن . انه مسلح ولكنه
لا يستطيع ان يقاوم عددا كبيرا من
رجال الشرطة . زاد من سرعة
ركضه . ضاعفها . فاصطدم راسه
بفرع شجرة برتقال شرة الافصان
والجذع . وقد علق شعر راسه
ببعض اطراف فرومها فتوقف عن
الركض لاهسا . ولما خلع شعره
راسه من فروع الشجرة شعر ان
تلك البرهة القصيرة التي قضاها
وهو يغطض شعر راسه من فروع
الشجرة قد حبت اليه الاستراحة
من الركض ، فصار يسير متريشا وهو
في حيرة من امره . لقد اغلقت ابواب
النجا في وجهه ، ولكنه لم يياس .
فاره نشاطه الجسمي وقوة رجليه ،
ولكن حرارة الامل ما زالت مفرخة
في امصابه وفي تلافي قلبه ومفرخة
انه لم يصدق انه قسي الامكان ان

يتع فرسه بين يدي الاعضاء .
لقد نجا منهم مرارا . نجا في اضيق
الاقوات . وهو موقن انه لا بد ان
ينجو منهم الان .

سبحت بعض كلمات في الهواء .
كلمات عبرية تقرب منه . متى
يخرج من تلك البيرة العنية ؟ تارة
يظن ان سياج البيرة على مقربة من
يعينه فيسير يمنة في امل دافق
وطورا يغيل اليه ان السياج عن
يساره فيركض في الجهة اليسارية .
وفجأة سمع صوت اصطدام
شيء بشيء على مسافة ليست بعيدة
عنه . فتوقف عن السير مصغيا .
خطر في باله ان رجال الشرطة قد
دخلوا البيرة . ثم اطلق كلب بعض
طلقات من تباعه المزيج ، ففكر
سكون الليل وزاد الفدائي تفكيراً
ونفسه تفكيراً . واذن فهم متجهون
نحوه ليقبضوا عليه .

وانه لسأل ميتعدا عن مكان
الصوت اذ بدا له شيء ضخم اسود
نفسه فهد محمود في مكانه وقد
تجمعت قواه كلها في عينيه . يريد
ان يعرف ما هو ذلك الشيء الاسود
المنتصب هناك . هل هو رجل ؟ وانھ
ليحدث اذ رأى شيئا فيه يتحرك ،
فطن انه شخص يريد ان يطلق النار
شجرة . ودس نفسه في ليف من
افصانها وفرومها . ولكن نظره لم
يفارق ذلك الشبح الاسود . انه لم
يفارق مكانه . ما زال واقفا هناك
كانه تمثال . والغريب انه لم يطلق
عليه رصاصة واحدة كما توقع .
واذن فهو ليس رجلا . ليس شرطيا
كما توهم . هبط الفدائي من الشجرة
الى الارض ، كما انتزع مسدسه من
جنبه وصوبه الى ذلك الشبح الاسود
وراح يقترب منه شيئا فشيئا . لاح
راسه ضخما ، فتوقف عن المسير
بعد قليلا . لعله يريد ان يدخله
بصوته وجوده ليعلم ان يتبعه
نفسه صبر الفدائي : « من انت ؟ » ،
غير انه تعاسك متبها لنفسه ،

غربة وارتحال

أنا راحل عيسر وادي الضباب
فأني وإيالك شلو ونساب

وتغزو الحنايا بما يستطاب
ونشأ رفيقين عيسر السراب
نداء الحنين وغر الطلاب
وانت معي طي هذا المباب
فودعت نشوى دروب اليباب

وكانت رؤاي طوبى كذاب
وكتا معاً في طريق الطاب
لنفرق غريتنا في التراب

أنا راحل عيسر وادي الضباب
أنا راحل لا تسلي لساذا

سعت تعريد في سمي
فتمتد روحين في كل قفسر
ونلت خلف ارتحال يلبي
فخطت خطام الأماني جميعا
تلمس شعبي وتسمو بجبي

وكان الوداع وداعا غريرا
فما كنت في ولا كنت فيك
وكتا غريبين نسعى حثيثا

سلافة العامري

دعشق

من الراحة والفخر . اعتدلت قامته ، وارتفع رأسه وصدره ، واستردت يده حركاتهما الطبيعية ورجلاه نشاطهما العادي كأنه لم يمان من المشقات والمصائب شيئا . لقد زادت المشقات والمصائب عزيمة وعنادا ، وصمم على تخريب أشياء أخرى غير المصنع في وقت قريب . لم تغز يده بشيء ثمين كما تغوز يد الصياد بالسمك بعد جهد وتعب وصبر وانتظار . ولكنه فاز بالنجاة من أمدائه بعد أن الحق بهم خسارة كبيرة . وهذا الثمن من كل ما يمكنه حمله من الذهب .

انه الآن عائد الى بلده سالما من كل اذى . وهناك يدخل منزله فيعائق زوجته ويقبل ولده ، وفي الصباح يسمع ان الجرائد اليهودية نشرت تباً لنسف مصنع الحلويات .

عنان عبد الحميد الإنشاصي

خرجوا من البيرة ، ثم نزل حين الشجرة واتجهوا الى شرق البيرة ماشياً على الرمل ، لاقوا به الاطمئنان يتمشى في اعصابه ومروقه . لم يتغير اتجاهه . ظل سائرا نحو الشرق .

وبعد مضي ربع ساعة وجد نفسه مواجه سياج البيرة ، فوقف يتنفس الصعداء . قطع بعض اسلاك السياج ، ثم خرج من البيرة وقد زال عنه الخوف والارتباك وصفا ذهنه من الافكار المتضعة . انه الآن واقف في مكان خال من الناس والاشجار . وقف في سهل ممتد امام بصره . لم تبد فيه اشداء ولم تسمع حركات . مشى في ثقة وامان واطمئنان . مشى كالقائد الظافر المتصبر . لقد قام بمهمته خير قيام . هدم المصنع الذي اتفق عليه اصحابه الوفا من الدناير . شعر بارتياح عظيم يطرد التنب من سابقه وقدميه والخوف من قلبه ، ويمطره شؤبوا

واكثر من التحديق اليه ، فتبين له انه جلع شجرة صفصاف قديمة كانت نابتة بين اشجار البرتقال فقطع اصحاب البيرة اقصائها واحرقوها جلعها فظل قائما هناك .

هناك حديث بالعمرية في وسط البيرة . وهذا ما جعله يهرع الى شجرة يرتقال ضخمة ويتسلق جلعها ثم يكمن بين اقصائها اللغاء . لاح له ضوء كاشف من مصباح يدوي ، فتدخل بعضه في بعض بين قروع الشجرة واوراقها . انهم قادمون نحوه يتقدمهم الضوء الكاشف وكلاب الاثر . وقفت الكلاب في مقربة من الشجرة التي اختبأ الفدائي فيها واخذت تنبح . سلط رجال الشرطة الضوء عليها وعلى الاشجار المجاورة ، ولكنهم لم يروا الفدائي فقد غطته الاوراق بتغطية كاملة . فانصرف رجال الشرطة من المكان ، ومضوا في طريق العودة نحو باب البيرة . وظل الفدائي مختبئاً حتى ايقن انهم

الكهولة بين الابوة والامومة

بقلم مصطفى دويش الباغ

اجمل الشعر ، ما يصدر عن تجربة وأحاساس ، واروع ما امتزج فيه الالم مع الحنين ، والحياة الإنسانية مثل ان تبلغ ركبها ، والالم يمتشي في عروقها وواصلها ، ولهذا يحب ، يشعر الزاخر بأصناف الالم ، المستمد من اعماق الحياة ، لاننا نتطلع انفسنا ، ونتقراها في صيغته ، نجيب الشاعر المحب ، انقلب حبه الى ثورة عالية مسمومة ، انصبت في شعره وقوايه ، فلاحتموا ملتها ، نشعر بحرارة القلب الذي انضج الالم ، وحرارة الروح المتوقدة ، والانفاس الملتبحة يصف اشواق النفس ، وريجات الروح ، منطلقا من الوصف الحسي المادي الى وصف الاحاسيس المعنوية ، ونحب أيضا الشاعر التالم ، من فقد اعز عزيز عليه ، في هذه الحياة ، يصف الالم في نفسه ، ووفرة احزان الروح ، واستخلاص الجربة والتجربة ، لان كلا الشاعرين استطاع ان ينظم الالمه شعرا صافيا سائفا ...

ونسر من شاعر آخر ، وصف بواقعه في الحياة ، ووصل الى ما يبتغيه دون معاناة او جهد ، اذا غلبت المتعة والجسد ، وصل اليهما ، من الطريق الفيلة والشيطة ، دون ان يلبيه الم ، او يثيره رفق ، ولكن شعره ، ووصفه لا يروغنا ، ولا يدخل الى مكان الاثارة في نفوسنا ، لانه لم يجبل بالالم ، ولم يلمس الصراع روحه ، ولا نلذ الى قلبه ، بيد اننا نستسيغ ، هذا الشعر لغتيه ، وتذرة الشاعر ، على تصوير ما وقع له بصديق وأصلة ، وبساطة في السرد ، وطبيعة الانسان في اعماق اعماها ، تهش وتسر لهذا النفس ، لانه يخاطب الغريزة ، وكل ما له علاقة بالغريزة ، ومفاجاتها ، وتحاليل الشاعر ، للوصول الى ما يبغيه ، من المتعة ، والجربة أحيانا والوقوف جبهة امام من يملك الشرف المصونة فيتنجم عليه حصنه غير مبال ، اقول كل هذا ، بولد الدشة والاستغراب في القاري ، لان الشاعر استطاع ان يكشف من حسارته ، ويرينا جنبنا بعد ان تملك غراتنا ، وليست صور الشاعر هذا ، الا رواية تمثيلية من نوع القودفيل- تتوارق فيها المفاجآت الغريبة الناتجة عن الخيالات الزرجية .. ان اصدق مثال للشاعر التالم هو مجنون ليلى ، وقيس ، وكثير عزة ، وغيرهم من الشعراء الملمرين العرب ، والفريق دي موسيه ، ولما رتين من شعراء الفرنجة ، واصدق مثال للشاعر الثاني الالهي هو امرؤ القيس وعمر بن ابي ربيعة من العرب اللذين تشا في

احساس الرفاهية والدلال ، وكانونفا ، وموياسان . من كتاب الامريج .

واذا كنا نستسيغ شعر الالم في الحب ، فاننا ايضا نحب من شعر الالم يصدر عن شاعر متالم حقا ، فقد اعز نفس عليه ، واي الم يفجئنا ، ويكون اشد وقعا ، من قوة الالم الصامق يحسه الانسان مفاجاة ، سامة انتزاع والدته ، او والده ، بضرية من ضريرات القدر المباشرة ، وهو في سن الكهولة ، وهي مرحلة النضج ، واستيعاب حقائق الحياة المخدرة في حتمية تجاربه .. ان الكهولة معرفة وخبرة ونضوج ، وقوة احساس ، وسعة الفسق ومدارك ، اذا اصطدمت بالالم الصامق ، فان وقعه ، يكون اليما وشديدا عليها ، والطفولة لا تستوعب الالم ، ولا يعمق في نفسها ، لانه لم تقبض على جذور حياتها ، ولم تتمكن من تثبيت قواعدها في الحياة ، فاذا ما واجهت الالم قاله لا ينفذ الى الصميم ، من عقلها وفؤادها ، ويرى عنها ، دون ان يحتقر له مسالك ودرويا في حناياها ، كما تمر الحمى على الطفل ، فان للمعه الما الا انها لا تلبث ان ترتد عنه وشيكا فيقلب الفتى ، جدلا يظفر الى حياته الاولى حياة المرح والسرور ، دون ان تحدث الحمى بدويا ، او جروحا في نفسه .

حين فقد محمد الهراوي الشاعر المصري والدته كان في سن الكهولة ، والهراوي تشا على الفضيلة ، وترجمت بقائي السماء في نفسه ، ان ضربة القدر المفاجئة هزت بكائن الحزن والالم ، فاهتاجت شاعريته وتدفقت وكتب قصيدته الرائعة «الى امي» يصف فيها امه وكيف كانت تراهيه ، وتحنو عليه طفلا ، فشبا ، كل هذا يعلا القصيدة ، فتشعر بقوة الوصف الفنية ، وبعمق شعوره وحنانه ، وقوة المفاجأة التي اصابته ، ومباشرة القدر ، انك لتشعر باللهب والحزن يريان في حنايا القصيدة ، باناء وهدوء كما يسري اللهب في كتل الحطب الضخم ، وليس كما يسري في الهشيم والنبات النذل ، وتشعر بالإنسانية الحقة ، والبر والوقاء ، بقول الهراوي فيها :

تكتلت للاحداث بعدد يا امي
في الله ، يا اماء ، ما انا بالشي
نعود ان يقوى على الحادث الجهم
نصمت حزني في الصبا ، وعزني
في قول ما اتى ، من الحزن والهيم
للقصبة يعني في التري مصدر الملم
الى ان يقول :

فقدت ابي طفلا ، فلم ادر ما الاسى
سولني احبكم .. فان اليتيم بعدها
فان اليتيم الكهل ، اعرف باليتيم
فيا ليت ايام الحياة ، ولان بسى
لدى موسى منها من التلم والضم

حقا ان اليتيم الكهل اعرف باليتيم ، وهذا هو بيت القصيد ، وقد وقع لي وانا كهل ما وقع للهراوي ، فانتقدت والدتي . وعرفت معنى الحياة حين اقتنعتها ، واصبت بالحنن المضي الذي يشوي النفوس ، ويلهب الاعصاب ، فاضحني الالم ، وصحوت انسانا جديدا

وحدي على أطراف سهد
فتبادلا بسرنا بسر
لا ضوء لا نجيمات تهدي
يطويهما غسق ويودي
اللوآسي كمن مهدي
ام طائف في زي سر
فلم أبادله بسر
عجلا ببارقة لرغد
اللوآسي كمن مهدي
وتفرق انسر بصدي
خافق في فيء وجسد
ابتغى الظلمات وحدي
وتركت اعماله وجدي
بالعجالة كل مهدي
التمتات في تصخاب حدي
واغندي في همس وعبد
اللوآسي كمن مهدي

في الشارع المهجور وحدي
الليل غانق ظمئسي
والجو اقتسم عابس
روحان ساهرتان لا
آنا والبلاطات الرقيقات
شبح يموج على التري
الوآي بقبضته على
شبح نراي واختفي
هن البلاطات الرقيقات
ام تهلل لي وتغرني
لم اغف عمري فوق صدر
لا ، لا أريد الضوء ، اني
لكم النهيار تركته
واود أن انقلى لصيحا
أن اهرق الانام في
أن اطرح الجسد الجبان
فوق البلاطات الرقيقات

ميشال نعمة

واقصيدة كلها على هذا النسق ، تعترق للحزن العميق والالم الصاعق الذي يطل علينا من خلال قصيدة الهراوي .
اننا بحاجة ماسة لقراءة دواوين شوقي والمطران والمقاد وأبو شادي ومحمد عبد الفني حسن وصيدح ، والمطوف ، والديباغ ، والهراوي ، ومحرم ، والبارودي ، وأبو الفضل الوليد ، وعبدان مردم بك ، وفارس سمد ، وعبدالله حلاق ، وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة الآن باسمائهم . لانها تمثل شعر الحرية والانسانية ، وصدق الوصف ، ودقة التصوير . لقد اذهل شبابنا شعر الفجور والجنس . فهم يتهاكون على قراءة دواوينه ، اقبالهم على قراءة دواوين شعراء الرفض والسام ، والموت والفريه ، على مطالعة شعر السياب الذي يستقي من بحر البوت - والاساطير ، شعر الحزن على الانسانية جمعا ، وقبل ان نحزن على الانسانية ، علينا ان نحزن على انفسنا ، ونصف حياتنا وصفا دقيقا ، ليجيء شعرا مبنيا على قاعدة العروبة والاسلام ، يمثلنا على حقيقتنا ، ونضيف الى حديقته ادبا ، ادبا استعفيانا من حدائق الامم الاخرى ، تمثله كما تمثل النحلة الرحيق من الازهار .

استقرت معاني الحياة الحقبة في نفسه ، ان اعتداد الاسفل الذي تنبعث عنه ، ينمي عقلية الانسان ، فيسمى لتاصيل جدروره ، وفيحاء صورة تماثله ، تيسر في الحياة ، تثر عنه جميع مقاوماتها ابتقاء للبقاء والثبات ، واذا كان الهراوي رثى والده ، وجاد علينا بمعاني الفضيلة والرؤء والنقاء ، فان ايليا ابو ماضي رثى والده ، بقصيدة ولاعتقد ان سورة الحزن ، كانت تتخيل في قصيدته كما كانت تتخيل في قصيدة الهراوي ، فقد ملاها بملسقة الموت والحياة ، وغير ذلك من المعاني المألوفة المطروقة ، واكبر ظني ، ان بعد الدار ما بين الشاعر ووالده ، الايسر في بيورك ، والوالد في لبنان ، وبعد الزمان ، وبعد التقائهما ، انقضا من حرارة المصاب في نفس الشاعر لان الانسان خلق الوفا ، تنكيف معانيه ، وتسمى ولعبط ، وتفتت حرارته لوعته ، بمقدار ما يتصل بين الحياتين ، من معاني اللفة ، حتى ولو كان المفقود ابا ، ولكن القصيدة امتارت بملاحة نسجها يقول :

طوي بعض نفسي اذ طوافك اترى عني وذا بعضنا الثاني يفيض به جفني
أبي ! خاني فيك الردى فتفوت مقاصير احلامي كبيت من التبن
ومنها :

فاطم مجدي كان انك لسي اب والبر هري كان فوك : ذا ابني
والبيت الاخير يذكرنا بالمتني في رثاء والده ،

يستند ، فيتألم ما يريد بصنيته القدر ، إذ الحق هو القوة كما يقول المثل الإلهي المعروف في عالمنا المتكود هذا ..

والقوى التي الفوارق بين البشر ، فلا يعرف لها معنى ، هسهده الشياح التساجين وعمال المناجم والفلاحين ، تتردد بين بيوتهم الصغيرة ، زراعتهم ، أكواخهم وبين الأزارع التي يملكون بها على حساب فيرهم والمناجى التي يلازمونها - في عمل مرهق أشد ما يتكسون الأرزاق ، والمناجم التي يتعدون إليها في سواد الليل ويبائس النهار ، وهم لا يعرفون - في أجواها - بين سواد وبياض ، أياهم متورمة ، ظهورهم معنية ، قلوبهم موزقة ، حلوهم جافة ، أنفسهم مستعصية ، جلودهم متشجرة .. ويرى أهله وعشيرته الأقرين فاذا بالوجوه الصبيحة والعيون القريرة ، والعياء القالية والأصناف الهلهلة ، والبسملات الأوزار مارخي من معالم الحياة ، والسرير من مباهجها ، والتمهي من أطايبها ... والكفل في المسج ، أي معي ، بشر ، أخوة ، بل أشقاء ، متساوون في نظر القانون والنظام ، والكسل أرواق شجرة باسطة ، سنبلة قديمة واحدة ونقاط محيط واسع واحد ، فيهر في نفسه أن يجد هذه الفوارق ، بهذه النسبة من الفتق ، لا يعرف لها ميسرا غير المصادفة ، وليست المصادفة - مهما تكن - مبررا - مهما يكن هذا المبرر كافيا .. الطفل يؤخذ بما يرى وما يتعسس ويشاهد ويشعر ، فتفتق نفسه كلابه وتطفر بتابعيه وجدانه عن مشاعر دافقة ، ومواقف سيالة تمتاز بسمة المشاركة والتعاطف والإيتار .. ويرى الفتى وهو في منتصف العقد الثاني من عمره ، بعد التحاقه بأحدى الثانويات في مدينة بريسلا ويستعيد صحته بعد حين ليجد نفسه وقد سئم الدرس والفتوى والخدمة جيما ، وأذا به يتشر في دروسه ، فلا يستطيع أن يجتاز أي صف إلا يشق النفس ...

وهكذا يظل الصبي متقلبا من مدرسة إلى أخرى من غير أن يحرز نجاحا ما ، في مراحز الرقي والتقدم ، فقد واكبه كسله في كل صف نوصل إليه ، فلم يتطرق اجتياز حتى المرحلة الثانية .. لكن ذلك لم يمنعه من الانغماس في المسرح ومشاهدة ما كان يعرف على خشبته من مسرحيات كان لها أبلغ التأثير في نفسه التي شغلت حيا بالفسن المسرحي منذ ما كورة شبابه .. هذا فضلا عن فن التمثيل الذي جذب إليه بتأثير أحد أصدقاء أسرته فدخل في سنة ١٨٨٠ في مدرسة الفنون والصناعات في بريسلا ولكن لم يستمر بقلوه في هذه المدرسة إلا أياما من الزمن ، إذ حال تهيار أسرته ماليا دون إتمامه لتعليمه .. فلما بالثشاب بعد نفسه طليبا بين ذمرة من البوهيميين يبتون فسي بريسلا ما شاد لهم الفيت ، غير أن هسهده الحياة لم ترقه طويلا - لقصوريتها وانعدام الهدف فيها - فقر إقراره على الدراسة في جامعة فيينا ، وفيها استمع إلى خيرة الفلاسفة الطبيعيين ، من أصحاب التطور الدارويني .. وبعد جولة بحرية قصيرة ، عاد إلى روما - في أمل الس استقرار فيها - ثم ارتحل بعض مرض ألم به إلى برلين وهناك تزوج بماري شينجان ، أيلة أحد تجار دوسن المعروفين ، بمساعدة أخيه كائل ، وهكذا استتب له الحياة الرخوة ، والعائلة السعيدة بعد طول تناء ونصب وكد ، وغرب في الأرض ..

ها هو الآن وقد تعسنت أحواله ، يستعيد قوته الإبداعية ، ويعرن قلبه لواجه المستقبل بمقدرة جديدة ، بعد أن حصل على تجارب كثيرة ، في حياته ، فمسيرته الحياة التي اجتازها ، بين راحة الفتى وذلة الفقر والحرمان ، واختلاف الأحوال والأقارب ، وصعوده مرة أخرى إلى نجد اليسر وروسة ذات اليد ، واقتناؤه من سائر الناس ، هذه المسيرة امتدته بزيادة ، ينفذ ويكتز لا يلقي في الحكمة الواقعية وبمعرفة هائلة عن حياة الناس وأوضاعهم الاجتماعي ، ويعتره بأغاث المجتمع وأدوائه ، بالصناعات الحديثة تطلق عملا ، احتياجا من الفلاحين المغمدين ليعملوا في المناجم ومعامل التنجيس ، في أحوال وقروط يتطرق على الشيطان وأن يدافع مطلق منها ...



يوسف عبد المسيح ثروة

جبر هارت هاوبتمان والهرم السحري

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

العديد من جبر هارت هاوبتمان (١٨٦٢ - ١٩٦٦)) حديث متشعب واسع ، بحاجة إلى دراسة مستفيضة ، ولنص كثرة ، فهو علم مسين اعلام المدرسة الطبيعية في بدء نشوئها ، في القرن التاسع عشر ، وهو والد المسرح الاجتماعي الألماني ، الذي احتضن فلبايا الإنسانية العالدية ، في مختلف وجوها وصورها ، في حوالت حياتها البائسة ، وفي الحق تطعناها البائسة ، وفي كل شأن من شؤونها . وهو - في ذلك كله - يصدر عن بصيرة نفاذة ومشاعر إنسانية سليمة غير مشوطة ، صريحة واضحة ، عميرة كل التعبير من خوالج الناس الاتياديين البسطاء العذيين ، الحكوم طيهم بالشفاء في عالم الشقاء ..

ومع أن أبا جبر هارت كان على بسطة من العيش وبهيجة مسن النعمة ، فإن الصبي لم يستطع أن يصغر نفسه في نطاق أسرته الضيق فقد كان قلبه السالاج الرقيق قلب إنسان خفي يهب إخوانواخوانته - في هذا الوجود الزائل - محبة عجيبة شافلة ، تنيره من صفاء طوية وسلامة نية ، وعقد أحاسيس . وأحاسيس المرافقة الإنسانية التي لم تبادع الحسليم الاجتماعي - من يمنعه من رافة الطبيعة - فسي جعلها الفتان ومناظرها الخلاية ، بين وديان سليزيا وجبالها الشامخة حيث مسقط رأسه في قرية أوبراستنس برون بين هذه الغابة الساحرة وللك .. أنه كان يرتبط بين مشاهره نحو سكان الريف في سطوح جبال أوين من فلاحين وتساجين وعمال المناجم وبين مشاهره القياصة تصسو سحر الطبيعة وجلالها . فلذا بالفتى تتجلى أمام عينيه ، فنى الطبيعة وكزها .. وشع أبناء الإنسان وكثالب بعضهم على بعض ، هؤلاء يتعصون أولئك حتى الفترة الأخيرة من القدم ، وأولئك يسمعون هؤلاء حتمى الظلم ، وإذا بعد الأولون من السنين ، الشرة القوية شرع التفكير والانتاب ، في هي ، الأولى هو صاحب الحق الذي لا يتنازع ، والأصعب هو صاحب الباطل الذي يولد منه بالظفرة والمصادفة ، ولا يصحح هذا الباطل قتا ولا هذا الصديق قويا ، ما لسم يستكلم ، يستلبد ،

مصرية قبل الشروق

وجريهارات الأيمن لرسالة الصدق ، الثاني بشللى وإيسن وزولا ، الذين عرضوا الأيمن وعرضوا بكل ما يشوه الحياة من قبح وإسفاف وشر ، لم ير مناصاً من أن يسري صرامهم ، وهضم السنة الصديق وأعداد الأرفق والتشويه والقرابة ، أنه أبغهم مظهراً أميناً ، لا لأهم سيقوه في جرة القلوب والقلب والضمير ، ولا لأنه أراد أن يستلهم عليهم ، بعد أن رغب من التتلمذ على المحسنين الطيبين ، ولا لأنه وجد سبيلهم هيئة فاحتذاها ، لا لهذا ، بل هو فعل ما فعل ، إيماناً بنقاوة قلبه ونقطة ضميره ، وسلامة طويته .. واعتقاده الراسخ: أن ألفن كفاهرة اجتماعية تعبير من واقع حي يلقى صورة جمالية .. ومن هنا ، ومن ثارته بالمدرسة الطبيعية التي كانت في مطلع إنشائها على عهد ، والتي اهتمت بمطالقات العلم ، كتقنية التطور وتاكيسر البيئة في الإنسان فضلاً عن عوامل الوراثة ، وجعلت معها مركزاً - فهي التناظر الأدبي - في تصوير الواقع الاجتماعي ككل ، والأخذ بتقليس الاعتبار الأيدي قاعدة الهرم الاجتماعي السحري ، أي تلك الطبقة الغريبة من مائة الناس ، من العمال والطلاب والكسبة ، وجميعه للتسقيت تحت مظلة هذا الهرم المريب .. من هنا ، لا من مكان آخر ، انطلق هوفمان كاسيل الجارف بعيد سدود التناكيد والواقعات فظهرت له مسرحيته « قبل الشروق » سنة 1889 .. وهي أول مسرحية طبيعية ألمانية تلزم حدود الكسب الطبيعي التزاماً بيناً ، بتصورها الدقيق للفصل للمجتمع ونسج الأفراد وتأثير التصنيع في زجعة القيم الاجتماعية وخراب الأسر ، بسبب الانحلال الخلقي ، ولتفصح كسل وموالات المير المحافظة ، من جراز قزوة المال الضالمة .. وكل ذلك بأسلوب شفاف غاية الشفافية ، يمتاز بأبراف الصبي ، وصدق العرض وجعل العبارة ، وبعد الرؤيا وصفاتها ..

فصهر الأسرة هوفمان يمثل الواقعة النصية تمثيلاً صريحاً وهذا ما يجعله من مغاظة صديقه لبقوله : « يا سيدي سيدي ! فعلى المرء أن يتصرف تصرفاً أميناً .. وعليه ألا يوجهه الأشياء بآرائه ونحوها .. ونصيب جيلنا الزمان كثير من الشر ولكن لا ينبغي لك أن تستبدل بشره آخر أشد خطراً !! ما لو الذي يظل ضليلاً على الأسرة فهو في زاد آخر ، زاد أخضر ، زاد الفصيرة ، باسم ما لأنه يعيش في نيوماته وحيالاته ، فهو يجد الطبع الصعوبة في أن يحصل في وادينا ، نحن المساكين من أبناء البشر الطيبين ، لأنه يجده واديساً مليئاً بالأفاد والأرفق والقيح ، ولا سيما الأرفق فهو واضح المعالم الما اعتدنا عليه من عادات وأخلاق ومفومات .. وطبيعي أن تكون لهذه الأفراد كلها ملوحتها في نسية لوط ، في شعوره بالمسؤولية تجاه أخواته ، هذه المسؤولية التي يسميها هوفمان « آتما » ولهذا السبب فهو يحث صاحبها على الابتعاد عنها ، لأن الانغماس فيها لا بد أن يؤدي إلى الهلاك ، فالعامل لهم حقوق مشروعة ، ومصالح مشروعة متترف بها قانوناً ، وكل مشكلة من مشاكلهم يمكن حلها « من فوق » ذلك الحق - أي العمال - لا يعرفون مصالحهم من طابعهم .. وهذه الثورة من تحت ، لا تضي غير الأتراق السريع في الكتبة .. لأنها تفتح بصورة تلقائية لا تفتح فيها العمل ولا تدبرها أبداً فديرة ولا نفوس يصيرة ، تخضع هيأ !

وتحل مناسبة فيشند لوط بهيلين أبنية الأزرع كراوس ، صاحب الضميمة ، فإذا بهما متقاربين في الشكرب ومتجاذبين في الوجدان ، متداخلان في الروح ، ومن لم كان الحديث بينهما سلسيلاً صديداً الفتى يهرق فيقول « الثروة تفليس من أيوب الزمرد ونوافلها » لوط فيقول ذلك ؟ حدث أن الفهم التفتت تحت سطح (تسندورف) بالصادقة ، فإذا بالآزرعين الذين كاد الأملاك يسزع منهم الأرض ، يصعبون أسباد الأرض وما تحت الأرض ، لكن ذلك كله لا يعني شيئاً بالقياس إلى هيلين فهي لا تجد في كل تلك الثروة غير فراغ يتخضمه كل شيء هناك ، فالأزعة على كثره من لوط الذي هو ذرة فارغة

لأنها بحاجة إلى نفوس صافية وقلوب صحية ، وعقول نيرة ملائكة الحياة وحركة واتعاشاً وسعادة ..

وفي حاشية أخرى يقدم هوفمان صديقه لوط لصحبه كراوس ، فإذا الأخير بعد مجاملة متكلفة بقلبه بهذه الكلمات : « .. أنتي اسد ، يا بدم مني من تصرف .. ولكتنا تستقبل مراراً وتكراراً سبلاً من الألفين هنا ، لك أن تعتقد ذلك .. أنهم صليبتنا ، وهم أكثر من ذلك يسرفون ما يقع تحت أنظارهم كالفرقان .. » ويصل وقت المساء وإذا بالصدقة سبلر صديقه السيدة كراوس المصون تتحدث من فلسفة الحياة ، حسن اللغة والألم ، في قيم المجتمع الاسترقائي اللثاني ، فتقول : « كان صاحب العالي الوزير فون شاندنورف يقول : « إن أعظم الخيرات التي يعطى بها الإنسان هي الحياة في الدفاع والقتال والبيات .. » ويسود جبل الحوار إلى الاتفاق بين هوفمان ولوط ، الأول يتفلسف عما يتصوره من صاحبه كيف يقول : « أنك لن تستطيع أن تجعل مني زامداً ، لأن الزمرد سيبك كل يوم من الحياة .. » ومع ذلك فهو يتعذر على الانغماس في تعاطي الكحول ربما يقلل من غيبط النفس ، ولهذا فإن لوط يقول : « أنك تعترف بأن دمان الكحول قد يؤدي إلى ضعف الوراثة النفس ، ولهذا فإننا أجد هذه الأماسي المفعورة أماسي داتكة باعثة .. » ويستبدل لوط ذكرى أسلافه الألوام ، الأصحاء ، فيقول : « أن أسلافي كانوا أقوام أصحاء متدينين ، ككل حركة أقوم بها ، كل مجهود لأؤديه ، كل نفس أسحبه بذكرتي بما أنا مدين لهم .. ومن لم لقد عزمت عزماً أقوم على أن أفعل هذا الأمر الذي لأؤتيه ليعلم كما وردته بنفسي .. » وفسي هذا الجواب ، يلخص هاوزمان فكرة تأثير الوراثة ، على حسب الطب الطبيعي ، فليخبرنا بالغ الأممية ، لأنه يتكلم من الإنسان الذي انطلق منه كل من درون العالم ، وزولا الفتان ، فهذه الآن هاوزمان الكاتب المسرحي ، ليخبره على شرحه العمل الفني ، بعودة عفوية ، متناسبة مع اللقاع ، متعائلة مع السياق ، في طبيعتها وبسائطها ومعلوحتها ..

وتحدث السيدة كراوس عن هيلين ، ابنة زوجها ومن الكتب التي مررها تقول : « .. فإلار وفوته الثتان من الجانبين المتعزبين ، إذ كان لهما وجود ، أهما لا يستطيعان أن يفلا شيئاً غير كتابة الألفين ، غير الهما قادران أن يقدمنا لها أفكارا .. » وأذن هؤلاء مجهولة كاتكتاب الذين يستوحهم ، وهي خيالية بعيدة عن واقع الفعلي ، تريد العمارة الصغيرة أن تظهر من هذه الدار المأجرة ، حيث الواليد المبتدل ، وأمرأة الأب الفلسفة في الوبقات مع شتيها « كاهل » لكن أين ذلك التمرر الإنساني يتكمن من التطبيق بها في أجواء النحرة وأخلاق الخلاص : إذ هو لوط يهبط في الدار ، فهل له أن يكون لحره ، هل له أن يعد لها ؟ التنازع ؟ بيد أن لوط لا يسعى مسامحة ، فهي أن كانت تريد أن تنجو بطنها ، بذاتها من العذاب السحيق بها ، لا تفعل ذلك لأن من أجل نفسها ، ولهذا تضافلها نعال شخصي يفسد مسامحة شخصية ، على حين أن لوط لا يتكلى بذلك فهو يريد التخلص للجميع ، لتطبع الإنسانية من عذابها القيت ، وهذا ما يجعله يقول : « أنا لا أستطيع أن أرى ما يحيط بي من مرض وفقر وعبودية ونفاق .. وإذا لم يكن كل من حولي المرضي ، فحيثما أنا أدرسي .. » وما علة كل ذلك ؟ علة كل ذلك هو زيف الأشياء ، وهنا تستسلم هيلين : « هل لك أن تعطيني مثلاً على هذا الزيف ؟ » فيجيبها لوط : « حسناً ، حسن الأرفق مثلاً ، أن يجمع الإنسان الذي يريق فرق جبينه في العمل ، ويعيا الإنسان الكسلاً في وفرة من غنى العيش والمال - الفاتل في أيام السلم عرلة من القلق وهو في أيام الحرب جدير بالثواب .. » وبغض لوط محطاً ما أثر به على كليل نفسها ولقيها وجودها ، ويعيشها بالآزرة والأزربة والأجرام ما تسجع ، لا تاد تصدق الدنيا ، ولهذا السبب يترفع لها لوط بالحقائق المرعبة ويقول : « لو أن الله يعرف كل ما أعرفه أنا لأن صديقيني أطلق شيء يسير من راحة الضمير وعهده الفكر .. »

ويشدد اليوس في قلب هيلين وتجد نفسها ذات مرة مع صهرها هوفمان فتشعله بذات نفسها وتقول : « .. المرأة اب فاجرة » ترينى ان اتزوج عشيقها .. هذه هي الحياة هنا .. كلا ليس من حق أي كان ان يجبرني على تحطيم حياتي .. » ويستدريها هوفمان الي ما يريد فيقول : « كلانا في المصيبة سواء » وبعد ذراعيه هيلين ، ويحب متوسلا ، ان نحل محل اخها في تربية ابنته ، وتتلقى حلقه حسدا الاستدراج ولذا بالتوايا السود تكثر عن انبيائها وشيخين التمسوة تنزى ، فترده ردا منيفا وتعرض في وجهه : « انهم - نحن اصحاب البيت - اخطأ بالقياس اليك ، هذا ما اراه واصحاب صرح النصارى » فيتظاهر هوفمان بالقبض ويقول : « هيلين ، هل كنت في وضعك الطبيعي ، كل هذا ليس الا جنونا » ويوميء بالإشارة والصارى الي لوط ، فما تسمع هذه العبارة حتى ينفض فليهما عارسا صارخا : « لم لا يكون لنا الحق ان نتحدث معا ؟ انسه انسان ليس احدا جديرا بان ينظر في وجهه » لو كان في العالم عدل وانصاف « الا ان هوفمان يمزو هذه الجاذبية القبيحة من لوط الي علاقة تسانسه التي تدير ليس يروى للنساء فليصل بل رؤوس الرجال المعكك ايضا .. فهو يملأ راس الانسان بانكامل حيالية تدفعه دفعا الي مخاضات والي مناهضة التقاليد والاحلاق بدوى الحرية والاخلاق والسواقة .. وطبيعي ان تكون مثل هذه الافكار الضيائية عند هوفمان اخطر من السرفة وامر شرا منها .. ويسمى هوفمان للاتقاء بلوط فيكون له ذلك ، ويحاول ان يقدمه بما ليس له من خدع فيقول له مجاريا له : « ساكون اخر شخص ينفذ في طريق الطالبية المتروكة » التي يتقدم بها الملهضون والمستغلون .. ولكن لوط ليس من هؤلاء الذين يقنعون ، انه يجيب صاحبه : « من المؤكد ان واجبي ليعاقد بضميتي صديقك لا يعني حياته لغيبتي » وعند هذا الحد من الكاشفة ، يسقط برقع الجذالة من وجه هوفمان فيقول : « بصراحة ان افكره بما تظهري به بشيرتي ، كمسا لا تثيرني اشد الوفاحة صلافة .. »

ويكسو هوفمان على صديقه لوط فسرة لا تسيدح للصلابة مجال فيمرده انه هو الذي يلقي عمل التاجيم بالثاكة وصعد الرتقاء وبالفرارة والتهوة والفروج على الابواب والداخل والقلبية وياته بنسج فصلا لحظوظ من ذهب يمدح بها ، وفي الوقت نفسه يتر فروشم العظيمة التي يجهدون على توفيرها .. وتاخذ الصلوات بين هيلين ولوط في التلاطم والتغارب بمرور الأيام ، حتى يغفو لوط وكفه لا حظ له من ان يسقط في فخ الحب الذي رفسته له هيلين بكل لطف وبساطة وحب .. امير هيلين تجري في حسب ما تهوى وتنشهي ورغباتها تتحقق رويدا رويدا وهي لذلك فرحة كالأثر مرة حيلة ينفذ به حجرة طويلة .. وبينما اذلا تجري رغبة اذلا يحط هيلين بفتحها فورا على بطن ، ولذا بالقدرة يتعجب ان ينصب الشباك شيلا ، ويحل الدكتور شميل شيلا على الأسرة ، كما حل قبله لوط ، واثني الصديقان الصديقان يعلمان بعد طول فرقة ، ويطلع الدكتور على جليلة الهوى غسي دار كراوس ، فيبتذل لها بعد وتعود ويرى صاحبه لوطا بما في دليخة نلسه اثنى الطباع ما اتبع فيها ويقول : « لسة هذا البيت قصة شرب طويلة وشراهة ولجوي في الحرام » .. ويستمر في اقتلاع اهرام الحب واحدة واحدة من بستان لوط ، وزرع شوك في مكان كل زهرة ، فلذا ناليلين الثابت يبدأ في التزحزح فالترزع لم التهاير والتلاشي ، ها قد استطاع العلم من خلال الدكتور ان يصرع النصارى في قلب لوط ، وهذا كله ما شرت به هيلين بمرارة وحقي ، واستيقاا للحسدات نراها تلدره بفولها : « .. الفردي لا تعني هنا » لا تهجري ، فكلش شيء يستهني لدا ما تركتني لحيث .. بيد ان هذا اللئلا لا ياكسي برتمته المرجوة لان الصلوات بين الدكتور ولوط تشدد متانة بمرور الوقت وتسحق هذا لسام لوط صاحبه ولذا بالخير يقول وادس بما بين هيلين ولوط من طلاقات : « ما اسف الم » وتبين حيالك الزوجية

طول العمر على ذلك ، اذن خير لك ان تبني على الرمل » .. ويغضب لوط على ذلك بقوله : « هل تصور انني اجد في من احب ملاكا تحيد به حالة ؟ » ان لوطا زال تشيبت بهيلين انني اصيحت بحكم الوضع الجديد جزيا من وجوده ، فهو لأول مرة قد عرف ما كان فيه من برود وميتاتيكية وجفاف ، وما كانت فيه جهود من الصدام الزواج والعمالية .. لكن هذا التغير الذي احسه بوجود هيلين الي جانب ، بعد سوى سخابة صيف ، فما هو الحب والامل والرجاء غير خرافات وحدا ودجل ؟ وكلها مخدرات تعطي من حين الي حين للانسانية الغريبة كي تكون انما مسجلة .. ويحاول لوط ان يلوم بشيء بخص سخيته من القرق ، بان تشيبت بجل هوفمان الذي ما زال متينا ، ولكن سكين القصد الحادة تنقع عليه هذا الرجاء ، فلذا به يقول : « انك لا تعرفه (يقصد هوفمان) معرفة جيدة .. لم لملي الامور الي حد تدعيرها (يقصد هيلين) ولكنه بالتوكيد قد لوت اسمها ، فالتشخص الذي يتبع هوى نفسه ولها فائد ان يفل كل شيء .. وعند هذه الحجة تهاجر قلقوة لوط ، ويصبح امر ارضاله وحيدا من المار مسافة ولت لا خير ، وتحيي السامة ويبدل لوط ان مرة شميل ويرسل الاثتان ، الاول وقد فاز بصديقه والثاني وقد فر من وضع فيه كل امه .. وتندرد هيلين ماذا حدث بعد ان صبرها الضام بالعطية ، وتغسل الي غربة هوفمان العارية ويسمع صوت وينطق نفس ، وتتلقى ابواب المار وتصطفق ، ويشدد البين الضام وينشر ولكن كل ذلك لا يمسز ورا في نفس كراوس التي يظل مرتعها في مشيته وصورة الوششي المصنوع بالبيت : « اه ، هي - الست امك زوجا حسن الفتيات الطولات ؟ » بعد صدق هذا الصوت اربح ينشتر صوت ملاكي سفوف ، انه صوت هيلين الذي لم يعد له مجال - في هذا البيت - غير الاطلاق من مسحة الذي فشا به لدا ، بعد ان ترق جثة هيلين الهامدة فيلفظ هذان الصومان اختلاط الثرى بالخير ، في هذه المواق التي لا تنهسي من رفعة مجنونة ، لا لتبدا ياخرى اشد جنونا من سابقتها ...

فبرحة التناجون

ولنتقل الان الى التناجون) فهذا نجد ا نجدها طرفه واي طرفه من حيث انها اول صرخة تنال حدثا معينا هي نود التناجين في احدى افرى سيزيا سنة ١٨٤٤ ابطالها ابطال اعتياديون ، من حال النسيج الذين يشعرون فجأة بانهميتهم نود اليهم ، فينتفضون على القسسم والاستفلال الذين يفسون منهما الامرين ، فما يعود لهم ذكر لابنطرب الاسطوريين ولا لسة التبالا والكنهوت الاجزائي .. ها هم الناس المظلومون - ولول مرة الى التمس - يدركون تمام الادراك ان جلودهم تسبق وانعاجهم تباع نارخص من التراب ، وحياتهم تهنر ابدن الاوال وظهورهم لوقس ، واصهارهم لقص ، وهم لا يكادون يحدون لفة العيش ، انهم يتنقلون من مذلة السس مذلة صابرين يتصبيون عرفا ومكسنة وتعلمهم يقول « من يضمن نسقة تحسن حياته (١) » بحثا عن شيء من النقاد « الذي لتهريه جلود ارجلهم بحثا عنه » .. وفي كل مكان يطفح البرؤس ويرطب القفر بابلهايه « فلذا الصلابة يفلو بعضها بعضا » وماذا عن ساعات العمل في هذه المصانع والتشروط الضعيفة ا ساعات العمل في معدنة ، وكيف يمكن تحديدها ولا قانون في البلد ولا نظام .. الا كل شيء متعلق بمرودة صاحب المصنع .. يريد ان يعمل العمال كل النهار وقسا من الليل ، فيعمل العمال - على وفق ما تناد ارادته .. ومن الاجور ، من يبعدها ليس من حق ان كان ان يبعدها ليس صاحب المصنع ايضا ، لانه رب العمل والعمال معا ، ولا كان من صالح رب العمال ان تكون ساعات العمل طويلة والاجور واطلة ، فينبغي ان تكون العمال كذلك ، ولا فالعمال احرار ، في كل شيء ، في لمر العمل والاتجاه الي الفئات والكل البقول البرية والبلاوط ، وهم احرار ايضا في الموت جوعا !

سؤل؟

يا لغة الاجراس
أتولد الأشياء والدعشة
ويولد الأحاسيس
كالصوت والرغشة

دعشق صالغ درويش

فمن حق درايسر ان يصنع أمثال هؤلاء الأوفاد من أتياع بيكر بالإنباتد عنه ، وان يصنع لبقية العمال ان يجعوا جراح هؤلاء الأشرار .. لأن الأمور اذا ما تجاوزت حدتها انقلبت شعها ، وإذا بدراسير الحريص على مصلحة العمل والعمال ، مضطر اضطرارا الى ان يفسى حساباته ويرتك العمل .. وعندها نحل الطامة الكبرى ، فكيف يكون مصير العمال وقد تعرضت بفاساتهم العلية ، قوة عليهم الى كساد ، انهم سيندمون على ما فعلوا ولات ساعة مندم اما اذا كان الاجر قليلا الان ونصيب العمال من خيرات العلية يسيرا ، فلا بأس ، ليس ممن الأحسن ان يحصل الإنسان على كسرة خبز من ان يموت جوعا . غير ان كسرة الخبز هذه ، على شاكلتها تندر مع الأيام ، فلا تكد تصل الى الأفراد الا كما هي حتى يلقى اليأس احيانا على النفوس ، فلا يأخذى اليأسات ، ممن الامارات تقول : « خير الأمور باقياى الى كل واحدة منا ان يراف بنا ربنا ويأخذنا من هذا العالم » . فتجيبها صاحتها : « آنا لا أجسد لنفسي مفرجا الى الإطلاق ، فنعن نعمل ما وسعنا العمل ، ونظلم نسمى الى ان نستسلم على الارض » . ولئن فان الحياة صيرة جدا تمنع العمل وحصلب ومأسى . ويلخص الشيخ انورجده هذه الامثلة بقوله الامثل : « نحن هنا لا نستطيع ان نعيش ولا ان نموت .. وكل منا يلاوم حسي الرق الاخيرة غير انه لا بد له ان يستسلم اخير الامر » . ويقان الشيخ بين هذا العهد وعهد شبابه فيقول : « انهم » يعني ارباب العمل « يصفرون منا ما تبقى لنا من لقيعات الخبز وينتفيسا ويتسلسون قوتنا ما وجدوا الى ذلك سبيلا » بينما « كان اصحاب المصانع في تلك الأيام يدعون التناجيين يعيشون ايضا » .

ويود محروى اخر من الجيش يدعى بيكر ليكمل المسحبة حية وإذا به يقول والحضرة هم اذان سلبية : « لو اننا استلمنا ان ننتبر امرؤا ونوجد سلوفنا لزلنا مصاحب المصانع كارلية كبيسة » لان « سايان العظيم » الذين يفرشون قوت المساكين ستكون العنة جزايم » .

وتلاهم التلفة شيئا فشيئا ، وتشتد نذر الاعصار الكبير ، ونهتر غروش ارباب العمل ، وبخاصة عرش درايسر الصغير ، وينسود القصوص الصغار على القصوص الكبير ، وتقوم القياة ، وإذا بالجلود الملوخة تلبث حية ، والعضود الادعية تتلحق كاسليل الجارف تجرف في طريقها كل اسي الكيان الاقتصادي الجديد .. الانهيار مستمر ويرة ظليمة ، المقاومة قليلة غير ذات جدوى .. المفاوضون من الكيان قليلون ، فضلا عن جيتهم وخبيثهم ، ولكنهم يظنون في اللحظة المؤابية ، الى سدة النظام من الكشورية ، فيستيدون بهم طبا فلتجاة ... فيجندونهم على ايام البحث المتخلفة على هذا الرصيف وذلك هنسا وهنالك ، في ظل هذا النظام المترج الذي وجد طريقه الى متحف التاريخ !

يوسف عبد المسيح ثروة

بقداد

شعوس المسرحية تترزون ، ولكن انهم منهم على الجديد . درايسر ، صاحب مصنع الاقشة الفنية والتاخرس بفايضر والاب كيتلاوس وعابده قائد الترفة ، والعمال الشاق بيكر والشيخ باومرت والعديد من التناجيين والتناجات .. تجري أحداث هذه المسرحية في كاشيا بجبال الاولين .. وفي مصنع الاقشة الفنية .. يتقدم بيكر الى طاولة الحاسبة التي يلف خلفها التاجر بايضر ، حسب دوره وينفده الاخير باجرة ، فيستلمه كانه يتسلم حية رقصاء ويسود على نفسه ويغضب الجميع قائلا : « اننا لصحة الزلزام لا اقل ولا اكثر الماقره يظل يفا بدميعة اخشاب التول .. لماعية شير يوما وكأنه انصر انصاعا بكاد داسه بجور من القبار والحرارة الالعية فانه يسعد بالحصول على ثلاثة عشر غروشنا ونصف » ما هذا القفو الماقر ؟ كيف يسبح بيكر لنفسه ان يتساق مع الشيطان ، انه الآن والشيطان من مضم واحد . ويحدث ان يمر درايسر بالقرعة ، فيومي بايضر الى بيكر ، كاتسه يذكره به فيتذكر رب العمل ويقول « اهدا هو ؟ » وهذا يلتفت بيكر اليه ويقول ، « اجل ، اجل » ويشير الى نفسه « هذا هو » ويشير الى درايسر ويقول « وهذا انت » بيكر يعرف نفسه معرفة جيدة ، ويعرف رب العمل كذلك فالسافة بينهما معددة متسمة وبكفي لتثبيتها أسماء الاشارة والمقامر ..

ويتوجه درايسر للعمال ويهددهم ، اذ كيف يصرون ان يصودوا امام داره العمارة ، وهم « شرمة من السكارى او عصاة من الاشقياء السقاء سماء اسي وهم يشندون تلك الافنية الماقله » .. غير ان احدا من هؤلاء العمال لا يستطيع ان يرد عليه بكلمة غير بيكر ، فتحدث بين الاثنين مشاجرة يتود على الزها درايسر ، ويستجد بالثررة من طرف خلي ، او هو بكاد يتظاهر بذلك ، ولكن بيكر لا تزجر من مكانه ويلظن بالقوة التلقية بعد الاخرى .. ويخرج درايسر من الغرفة ذليلا ليري منظرا بشما اخر ، ان لاما يقع متسبيا عليه فسي يامع العمل ، واكثر يهرمون اليه ، هذا يتاوله شيئا فشيئا ويأخذ يهرجه وجهه ، وهنا ينسحب بيكر فيقول : « اهوه شيئا ليلايه » ويحسب يعود الى رشده .. هكذا وبهذه السافة يجابه بيكر اكر مفلسة فيجعلها ملاصقا عليها ، في اللحظة والتمو . ذلك انه دجل خلي يعرف دقائق الحياة ، فيصلها على كل انسان على حسب تربيته في الهرم الهرقي المعروف ، لكن من المسؤول من حالة الضام هذه ؟ جيبنا ان درايسر ليس مسؤولا مطلقا . على الرغم من قوله : « .. على من يقع اللوم اخر الامر ؟ على الطبيعي ان يقع علينا نحن اصحاب المصانع لظنا من هؤلاء المذنون في كل امر » لانه لم يدفع بالقول الى العمل دها ، فلما هناك خيار وحرية .. واما الذي دفع اللظا الى المجاعة هي اسرته الكبيرة ، والمسؤول الاول فيها ابواه طبا . وكيف يكون درايسر مسؤولا من هؤلاء المنوفه من الامور وهو « يغوص مغامرة كبيرة لا تظفر على بال العامل ولو في الختام » وهو لا يعرف في بعض الامور ما يالي وما يدع « من كثرة عمليات الحساب والاحصاء ، كما طيه ان « يتكرر ويكرر مئات المرات بال توقف وان يغوص ماله وتماقتات يتوقف عليها الوت او الحياة » ايمن ان يكون مثل هذا الرجل انسانا بلا قلب ، يحسه هذا الكلب او ذاك من كلاب الصحافة .. ان هؤلاء يهونونه باليدخ في الجيش والتشمع في اللذالك في حين لا يكاد التناجيون الساكسين يستطيعون ان يسدوا رمقهم بما يقفهم لهم من اجور تالفة خطيرة ! هذه نعم كالة وژور وبهتان ، درايسر رجل لا يمكن ان يكون قابليا ، ولا يمكن ان يلف بالتناجيين لانه الاسباب خارج ابواب العمل ، لا « لا ، لا يمكن ذلك » فما زالت مدار التناجية تجري في غروق درايسر ، ومعاداك ذلك « انهم » اي العمال ، يريدون ان يتخذوا حسن الجوع وعندهم من فائض المال ما يستطيعون به ان يبيعوا الخمر من الافصح الكبيرة بما ..

ارأيت كيف تكون وجهة الاسباب ؟ ارأيت النشقة لاول مرة فسي المهاد المبادر الجديد يعني على لفيه بقة والشفقة وثقة ؟ ومن ثم (1) شواعد مسرحية (التناجيون) ترجمة محمد جديد .



محمود الحسنية

التفاعل بين البيئة الجغرافية والانسان

بقلم محمود الحسنية

ميز الأفريق بين الظاهرات الطبيعية والبشرية المختلفة ففسنوا المعلومات ، ووضعا لها الأبواب ، وكان لهم الفضل في وضع اسس علم الجغرافيا - شأنهم في بابه أكثر العلوم المزدهرة ، وقسموا علم الجغرافيا الى قسمين رئيسيين : قسم يبحث مركز الكرة الأرضية من المجموعة الشمسية ، ودرس أبعاد خطوط الطول والعرض ، وقسم بحثه وصف البلدان والأقاليم ، وكلمة Geographia تكون من مقطعين : Graphia وصف ، و Geo الأرض . ولم يفت علماء الأفريق أن يمدوا بأحوال البلاد الاجتماعية فيلاحظوا تأثيرات المناخ وأجواء البيئة الجغرافية على سكان الأقاليم ، مما حمل هيبوقراط (٤٦٠ - ٣٧٧ ق م) بكتابه « الجو والماء والأقاليم » على أن يدون الفوارق التي لاحظها بين سكان المناطق الجبلية الذين كانوا يتصفون بطول القامة وبالشجاعة ويبنس سكان المناطق السهلة الذين كانوا يتصفون بنحافة القامة وبحب السيادة .

وقد دل أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) في كتابه « السياسة » على الارتباط القائم بين المناخ وبين طبائع الشعوب : وشرح سترابون (٥٨ - ٢١ ق م) أثر تضاريس الأرض ، والمناخ ، والعلاقات المكانية في إيطاليا ، التي أسهمت في إبراز مظلة روما ، وأخص سترابون طبيعة البلاد العربية بدراسات جغرافية وافية .

وركر عبد الرحمن بن خلدون (٧٢٢ - ٧٨٨ هـ ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) في مقدمته الشهيرة والتي تعتبر أول بحث منظم في علم الاجتماع ، على أثر المناخ في طبائع الشعوب ، وتأثير الهواء والشمس في ألوان البشر وأخلاقهم وافضى به هذا البحث الى أن يدون التاريخ بأنه خبر الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس ، والعصبيات ، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتج له البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال .

وهن مقدمة ابن خلدون أخذ الغرب أصول علم الاجتماع فكتب شارل مونتكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) في مؤلفه « روح القوانين » بأن الإنسان كائن فرد او وحدة طبيعية تقابله قوتان كبيرتان يتأثر بهما : الأرض بأقاليمها ، والمناخ بتقلباته . ثم ازداد اهتمام علماء الاجتماع والاقتصاد والمفكرين بدراسة المجتمعات البشرية وبمشاكلها ، وأشاروا الى ان الناس لا يعيشون فسي فراغ ، بل في بيئات متفاوتة التكوين والتفاعل ، تتلادم صفاتهم مع ظروفها ، وأن البقاء للأصلح ملازمة معها ، وهذا ما أوضحه روبرت شارل داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٢) في كتابه : أصل الأنواع ١٨٥٩ ، وتطور الإنسان ١٨٧٩ ، من أرب العلاقة بين الكائن الحي والبيئة ، علاقة علامة وتكيف ، فعلى الكائنات الحية أن تتلادم مع هذه البيئة ، وتتكيف مع حاجاتها ، وأن هذه الملائمة عملية مادية حتمية ، والبيئة في نظرية داروين ، قوة عارمة .

وعلى هذه النظرية ركز هربرت سيمر (١٨٢٠ - ١٩٠٣) قواعد الاخلاق ، وبنى أرنست هايكل (١٨٢٤ - ١٩١٩) أسس علم الاجتماع ووضع هيبوليت تين (١٨٢٨ - ١٨٩٢) مقاييس القيم مشددا على أن « الجنسية » والبيئة والزمان « هي العوامل الثلاثة التي تفسر الحوادث » وأنها ترجع في درسي تطورات التاريخ ، ولم يشذ عن هذه النظرية اي من كارل ريتسو (١٧٧٩ - ١٨٥٩) وفريدريك راتزل (١٨٤٤ - ١٩٠٤) منظمي الأصول الحديثة للتفكير الجغرافي . أما تأثير الإنسان على البيئة ، فلا يقل شأنه عن تأثيرها عليه . فسواحل أوروبا الطويلة المتعرجة وامزجة بينتها البحرية تعكس على السكان نمو ثقافات صالحة تطبع بها ، وأجواء البحر الأبيض المتوسط الخصبة ساهمت في ظهور قوة الأساطيل البحرية ، وازدهار حضارة كل من فينيقيا وقرطاجة وأثينا .

وهكذا فالسواء الصحة الصافية استمرت انتباه العرب وجلبتهم الى دراسة النجوم والكواكب ، وقادهم هذا الدرس الى التوسع في علم الفلك ، حيث اشتهر فيه

أر من فصل بين سهل البوحياتي المتوفي عام ٨١٥ م -
 واحد بن كثير الغراني في عصر المأمون ، وعبد الرحمن
 بن عمر بن سهل الصوفي ٢٩١ - ٣٦٦ هـ ، وأبو الفراء
 محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس البوزجاني ٣٢٧ -
 ٣٧٦ هـ ، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن
 يونس وقد رصد كسوف القمر وكسوف الشمس من
 المرصد الذي بناه له خصيصا العزيز القاطمي في جبل القطم ،
 المتوفي بمصر في الثالث من شهر شوال سنة ٣٩٩ هـ
 (٣١ - ٥) (١٠٩٠ -) وصلة الجريطي أقليدس الأندلس
 المتوفي سنة ١٠٠٧ ، مؤلف « تعديل الكواكب » و « أثار
 البلاد » و مترجم كتب بطليموس « المجسطي » والنظرية
 البطليموسية في هيئة الافلاك وقد ترجمت تاليفه الى
 اللاتينية في سنة ١٥٣٦ م بمدينة بازل بسويسرا ، ثم
 أبو الريحان البيروني (٩٧٣ - ١٠٥٠ م) مؤلف « الآثار
 الباقية في القرون الخالية » وقد طبع لأول مرة في
 لايبز ١٨٢٨ م ، وأبو الحسن القطفي ١١٦٧ - ١٢٤٨ م ،
 وزكريا بن محمد القزويني ١٢٠٣ - ١٢٨٣ م ، الملقب
 « ببلينوس العرب » ، ومن مؤلفاته « عجائب المخلوقات
 وغرائب الموجودات » .

وهذا العلم عرف العرب الفلك بأنه مدار النجوم
 التي سماها ، كما جاء في قوله تعالى « وكل في فلك
 يسبحون » وسمي فلكا لاستدارته ، ولكل كوكب من
 الكواكب السيارة التابعة فلك يسبح فيه ، وترى حجب
 منزلته : فالقمر في الفلك الأول ، وعطارد في الفلك الثاني ، في
 الامور ، في الفلك الثاني ، والزهرة مأخوذ من الزاهر
 الأبيض ، في الفلك الثالث ، والشمس سميت كذلك
 لشمسها بالشمس ، وتوسط الكواكب السبعة ، في الفلك
 الرابع ، والاربع مأخوذ من المرح ، شجر تحرك أفراده
 أصفانه فتزوي النار فسمي بذلك ، لشمسها بالنار في أحراره
 في الفلك السادس ، وزحل مأخوذ من زحل اذا ابطأ سمي
 بذلك لبطئه في سيره ، في الفلك السابع .

ولم ينس العرب بيان يلاحظوا تأثير الأرض والفلك
 على الأشياء ويربطوا تاريخ الانسان والعمران بالاحوال
 الاقليمية ، وعلاها واسبابها وقد شرحه علامتهم ابن
 خلدون ، بما أوتي من بصيرة حاذقة وعلم غرير ، ف ضبط
 فيها كل شارد ووارد ، واستنتج بان سكان البادية تأقلموا
 ببيئة خشنة المظهر العام ، كما ان المدينة والأقاليم
 المتحضرة خلعت على سكانها من طبيعة بيئتها وتربتها اثر
 النشاط الاجتماعي .

وهذا ما حدا بفريدريك راتزل ان يدرس طبيعة
 الانسان على ضوء علاقته بالبيئة الجغرافية ، حيث توصل الى
 علم جديد يعرف بالجغرافيا البشرية Anthropogeographie
 أي توزيع السكان وجمعهم على سطح
 الارض توزيعا جغرافيا ، وعنه نفع علم الجغرافيا
 السياسية الذي يقوم على وحدة أماني الشعوب ومراعاة

امتزجتها وامكاناتها . وعلم الجغرافية الاقتصادية الذي
 يعد الانسان لياهم في توفير سبل العيش الكريم
 لمجموعة سكان الاقاليم باستثمار مواردها الطبيعية .
 كيف لا والانسان هو ابن سطح الارض تطعمه وتربيته
 وتوجه انظاره وتمده لمجاوبة الصعاب وتلدليل العقبات .
 وقالت لمليدة راتزل من ابن سبيل : « اننا لنس
 نستطيع ان ندرس الانسان دراسة علمية ، وهو منفصل
 عن الارض التي يفلحها ، او الارض التي يسدب عليها او
 البحر الذي تمر سفنه عيابه ، كما اننا لن نستطيع ان
 ندرس الحيوان القطبي منفصلا عن البيئة القطبية ، او
 ابن البادية بعيدا عن الصحراء وجديدها » .

وهكذا تولد البيئة الجغرافية العوامل الطبيعية
 الرئيسية للتاريخ ، وهذه العوامل من حيث تأثيرها على
 الانسان هي :

أولا - عوامل ذات تأثير مباشر مثل المناخ ونبره
 على لون الجلد والصفات الجسمية وملاءمة الانسان
 لظروفه .

ثانيا - عوامل ذات تأثير غير مباشر مثل الموقع
 الجغرافي ، والقرب والبعد من مراكز الحضارة وما يؤديان
 في النهاية الى تقدم او تاخر الانسان .

ثالثا - عوامل تؤثر في النمو الاقتصادي والاجتماعي
 اما ان تزيد من نموه ، فيتطور ويتقدم واما ان تعيقه
 فيتقهى ويقتضي .

وهذه العلوم الواضح ان عناصر البيئة كثيرة ، متوهجة ،
 فعلى المرء ان يختار منها ما يتلاءم مع قابلية شخصيته
 فكيفها حسب طاقته المادية ومقدرته العقلية ، ان
 العقبات الطبيعية لم تمنع الانسان من التفكير في التغلب
 عليها . فاستطاع الاراضي وضبط مجاري الانهار وشق
 الانفاق واقامة الجسور والسدود والمشآت الزراعية
 والصناعية واستثمار خيرات الارض الظاهرة منها
 والدفينة الى عملية غزو الفضاء دليل الانسان على تحط
 العقبات وتكبيف الاجراء القاسية التي تحول دون التقدم
 نحو العمران والرفاهية وتنفيذ الرغبات .

وبما ان الجغرافيين يدرسون الارض من حيث كونها
 وطن الانسان ، فهم في جميع دراساتهم الطبيعية لا يعملون
 البتة بالانساني ابدا ، كما انهم لا يعملون الجوانب الطبيعي
 لدى دراسة جميع فروع الجغرافيا البشرية .

وهذا ما نلاحظه الان في عملية اطلاق الصواريخ
 والاجرام التي تحاول غزو فضاء الفلك فالانسان هو محور
 كل دراسة ويبحث ، وسواء نجحت محاولة الغزو وتحققت
 اهدافها ، ام لم تنجح وتذهب مع شمع ابن العلاء (٣٦٣
 - ٤٤٩ هـ) (٩٧٣ - ١٠٥٨) وسأؤله حين قال :

يا ليت شعري وهل ليبت بئنا الصانع مالا واداءه او ما لي فلك ؟
 كم خاض في ازم الاوامر واخفقوا فلما فبا اوضحوا حقا ولا تركوا

في معبد الذكرى

★ ★ ★

ويرد عهد صبايتي وغرامتي
التي الحبيب قبيل يوم حمامي
قربي واشباح الديار أمامي
الا عيوننا بالدموع طوامي
جنسي القريح تبثها الآمسي
أفرغت دنسي أو عقلت فداي
عهد الهوى بمسارح الآرام
صدر الرسي ومناكب الآكام
تلك الرسي بجواله المتسامي
لحنا يردده القدير الطامي
لندى الصباح وزهره البسام
جذلا أمام ترنح الأنسام
من موطن قد ضاق فيه مقامي
من مهجر قد ساء فيه ختامي
أودعته نثبات قلبي الدامي
ديجتها بدامسي وهيامي
نفسى علامة حيلة الأقالام
زمن نعيش به بغير سلام

ليت الزمان يعيد لسي احلامي
ويعد في أجلي ولو أمدا به
اني مضيت أرى خيالا واقعا
لم يبق مني الدهر بعد فراقه
يا حرها من أدمع سالت على
لو لم تشط بي النوى عنه لما
وصوت لوكر القديم يرد لسي
أيام كان الحب يجمعنا على
اني احن الى الربيع وقد كسا
والطير تبعث من شجي حينها
والشمس تحتفن الجبال طليعة
والبحور نشوان العاطف ينثي
انا ما عتبت على الزمان تلما
انا ما غضبت على الوجود تظما
كلا ولا أسفا على أدب ذوى
أوليته محض الندى بقصائد
فرجعت عن حلمي الوجع وقديكت
انا ان أسفت فانا أسفى على

وهن الشفاء مقبلا بزمام
حرم الغدالة فوطىء الأقدام
ما يفعل الصمصام بالصمصام
عزم الشباب الى التجميع للوامي
تمشي الى الوطر العزيز السامي
داعي العلى والمجد للأقدام

وطني اهلك ان تنام على الاذى
قل فلاولى وادوا السلام وخلفوا
مهلا غزاة القدس نخبركم غدا
برزت من القاب الاسود يقودها
تمشي الى النار المميم كانها
تهب النفوس وخيصة وقد دعا

فاتق جبور

خوخوي - الارجنتين

يقوم على كيفية استغلال الجماعات البشرية لموارد كسل
بيئة جغرافية .

ومن مرحلة الحياة البدائية ، الى مرحلة توزيع
السكان على سطح الارض وكثافتهم وهجراتهم ، الى مرحلة
التطور وظهور المجتمعات المعقدة الحديثة ، الى دراسة
ال عمران البشري وعيقله وتطوره في المدن والارياف وفق
مقاييس خبراء علم الاحصاء ، يحمل الانسان مع كل مرحلة
انار بيئته الجغرافية ، كما تحمل هي بعض اثاره
الانسانية .

محمود الحسينيه

شمس تهب ويقلو الرها قبر
جنت طعن الرمح من قبلنا امنا
وقال انك طبع خاص نفس
رامسا سرائر الرحمن جبهسا
والجغرافيا هي العلم الذي يوحّد بين الظواهرات
المختلفة من طبيعية و انسانية ، وهي الجسر الطبيعي بين
العلوم الطبيعية والاجتماعية ، تحلل الظواهرات وتعيدها
الى اصولها في بيئتها بحثا عن كل نشاط اجتماعي
يستهدف خير العالم .

ومع سمي علماء الطبيعة واهتمامهم المتزايد بالرفعية
الانسانية ، يقابله اهتمام من اجل تحقيق تلك الرفاهية

من ورائها ان يجمع ثروته طيبه
استقلها في تجارة الورق .. والجلود
والسمن .. الخ ..

وهكذا .. تخطى الصعاب الى
ان استقر في مكتب « الفجر » وغدا
(استاذاً) . ولكم كان يغضب اذا لم
يسبق اسمه كلمة (يا استاذ) ، اذ
يعتبر هذا اهانته غير ممتفرة .. لم ؟
ولماذا .. ؟ اولىس هو مدير مكتب
ويستطيع ان يدخل وزارة العدل
ويلاحق معاملات القضاء من غرفة
الى غرفة .. ومن محكمة الى
محكمة .. ؟ لهذا كله كان يشتاط
غضبا اذا استدبلت كلمة الاستاذ
بكلية السيد .

الايام تاوردت .. واخفت ماضي
لظفي الذي لا يشرف ببريق الذهب ،
ورصيده الذي يغفو في صناديق
البنوك .. والسيارة الزرقاء الفاخرة
التي كانت تضمه في جوفها كلما
اراد التنزه في الشوارع طولاً وعرضاً
والى جانبه حشاه في عبو الزهور
او امرأة تكون قد كلفته بمعاملة نفقة
على زوجها المهاجر او عجوز ثرية
يخضعها بمصقول الكلام كي يبرز مالها
باسم الرسوم القضائية او رشوة
موظف كسول .. الخ ..

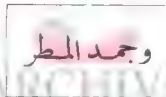
الايام .. الايام كانت الى جانب
لظفي في كل ما يعمى .. وازداد
تباهياً على اثرائه .. وكان يساعده
في مكتبه شاب خلدته الحياة فسي
النجاح .. فوجد عند لظفي كسل
نجاح .. اذ كان يمهله له سبيل
الاتصال بالسادس اللوائي لمن قضاي
في المحاكم والسجل العقاري ...
فقد كان يقضي معظم يومه في ردة
القصر العدلي وبيناته تبحثان عن
امراة لا تدل ملامحها على معرفة
بشؤون القضاء .. فكان يتقدم منها
بعد ان يصلح من هندامه ، ويصفق
شعيرات راسه ، ويقول لها :

— يلزم خدمة يا ست ؟ ..

وتبهر نظرات الست بالشاب
الانيق .. ويفتر ثغرها قليلاً ثم

له ، وهو يداعبها بخت شرير ،
ويلقي بظفرها الى صدره ، ويده
تجوس بجرة قاضحة في خصلات
شعرها التي تستره عصبة محلاة
بقروش فضية .. وبعض ارباع
من الليرات الذهبية .. وحبات من
الخرز الأزرق .

والبك الذي تنتظره الصبية الحلوة
ابنة الناطور العجوز في الحقل
الكبير هو « لظفي » صاحب مكتب
« الفجر » لتسهيل المعاملات المقاربة
والقضائية ، والاستاذ (كما يحلو له
ان يسمى نفسه) رجل في الخامسة
والاربعين .. قسامته الجمادة لا تدل
على صفاء .. عيناه الهزيلتان تمنان
على مكر متاصل في نظراته .. وثره
منع يكشف عن — تكثيرة — في



بقلم مشور فوال

شعته السفلى . وانفه المدب يشوه
ملامحه ، مما اضاف الى نفسه عقداً
شاذة ابعثت اكثر الناس عنه
اذ ان الوسائل التي كان يسلكها في
سبيل الوصول الى المادة غير
مستقيمة . فهو لا يتردد ابداً ان
يطرح نفسه بالذات فسي اسواق
المساومة لقاء قروش زهيدة صدقة
تزيد في ثروته . واذا اراد الانسان
ان يعرف ماضي لظفي وجده متشعباً
في مفارق كثيرة .. لقد عمل فسي
مستهل حياته بحرف متنوعة استطاع



استقلت انصيبة الجميلة على فراشاها
الوتر يتراخ ورمقت النافذة المظلة
على الحقل بنظرة متفائلة يكتنمها
سؤال كبير ، وما لبثت ان لحست
غيمة كثيفة تختلط بزرقة السماء ،
وتبشر بهطول المطر ، فابتسمت
بدلع .. وتقبلت على جنبها ، ولكنها
ما عتمت ان نهضت الى النافذة ،
وامعنت في السماء جيداً ، فتأكد
لها ان المطر لا شك هائل ، والزرع
في الحقل سيركوي بعد ظمأ طويل .
وسنابل القمح الذهبية ستتمو بطول
شاهق .. والتياشير كلها تؤكد ان
الوسم الزراعي سيكون خصباً ، وان
محصوله سيغطي الضارة الكبيرة
التي اصابت الزرعة في الاصوام
الثلاثة الماضية التي بخل فيها المطر
على الزرع ولم يهطل الا قليلاً ..

وهزت الصبية راسها ، وزفرت
بفريق ، ثم حدثت في ارض الصبرة
بامعان طويل ، والابتسامة الصغيرة
عالقة بوجهها . وصمتت وهي تحدث
نفسها بشيء دفن كثير ما ضاقت
بكتماته « .. غدا .. غدا سيحقق
املي .. وساتزوج (البك) الذي
كان يؤجل زواجنا الى ان يتمش
بشرة الحصول » .

واتسمت الابتسامة على ثغرها ..
وملات كل وجهها ، وغدت مشرقة ،
كان السماء قد استجابت لدعواتها
الطيبات التي كانت تردددها فسي
مطلع كل فجر ..
البك .. ألم يهمس في اذنيها في
امسية مشحونة بالعاطفة المشبوبة
التي كان يحملها اليها ما بين جوانحه
كلما جادها الى الحقل في القرية
الصغيرة التي تبعد عن المدينة مسافة
ربع ساعة ، كان يقطعها بساترته
الزرقاء الفاخرة ..

— ساتزوجك يا « سمدة » فسي
نهاية الموسم ، عندما تباع المحصول
وتلعب بالليرات الكثيرة كشراب
الحقل ..

وضحكت يومذاك سمدة باطمئنان

تطلب اليه مساعدتها او ارشادها الى مكان تروم قصده .. وبعد اخذ ورد طويل يذهب بها الى لطفي حيث يتم الاتفاق معها على ملاحقة القضية نظير اجر محترم ، اذا كانت الست لا ترضيه كرجل .. وان كانت جميلة فالجمال يشفع لها ، ويتفق معاهلى مبلغ رمزي بعد ان يرسم خطة فسي انقاذها واصليها ..

وكم ... وكم من النساء كسن ضحيته . ثم لم يكن ليتورع ابدا عن ان يقدم المخدوعات المعوزات الى معارفه بعد ان يملأ رؤوسهن بأوهام الزواج من صحبه .

لم تكن عين رقيب ترقبه .. اذ كان على صنة بشخصيات بارزة تؤازره في المحن لقاء سهرة متممة فسي مكتبه . لا سيما وانه كان يستخدم فتاة - كسكيتيرة - يشترط فيها دائما الجمال قبل الشفافة .. والدلع قبل الاتزان .. والميوعة قبل الاخلاق ، فهو لا يحب الموظفة ان تخفض نظرها الى الارض حياء . فان طبيعة عمله -دني-اقتاداه تتطلب طراوة الفتاة وفنجهما . فان سارت امام الزبائن يجب ان تتثنى كالرافعات فوق زجاج الموائد ... والا يكف نفراها عن اطلاق الابتسامات المثيرة لهذا وذاك .

هذا ما كان يذكره على مسامح كل فتاة تخضعها الحياة لعمل الليل مقابل لقمة عيش مريرة .

وبالفعل كان يتوافد على مكتبه شخصيات كبيرة يهمن ان تمضي الفراغ برؤية الوجوه الجميلة ... والاجساد اللطيفة .. وتشف ذاتها بأصداء الضحكات الناعمة التي ترسلها الموظفة لهؤلاء ..

لم تكن الحياة في عصف لطفي اكثر من ساعات عابثة يقطعها لهوا في كاس سوداء .. وامارة ضحية . ثم يوردها كالفضاعة الى اصدقائه الافاضل او على حد تعبيره الاساتذة وهؤلاء الاساتذة هم رجال عابثون

يقفون الحياة بجسد امسراه اعوزها القدر للعيش .. او هم اخلاوا يديها الى السبل الملتوية .. لم يعجزوها بقطع بصاق حقير ، بعد ان يشقوا يسدها المرتجفة بخمس ليرات مهترلة مسمومة ، ويشيعونها بنظرات ساخرة .

وعلى هذا الشكل المربط قطع لطفي فترات حياته . وظفر بشرة طائلة اخفتشوائن سلوكه . وظهرته للاغبياء بمظهر اليك الوقور الذي يحسب له الحساب في القرية الصغيرة التي اشترى فيها حقله الكبير الذي يشرف على حراسته الناطور المجوز ، وابنته معدة .

سعدة الصبية الحلوة التي كانت تنتظر اليك بلهفة كل مساء ، حيث يعود اليها ويقضي معها وقتا طيبا ، الى ان كسر فيها غصن الحياة وتركها والموت يتوعددها ، ويظوف بأشباحه الرعيه حول جسدها الجميل يحاول ان ينشئ بأظافره الطويلة الناشبة ربيع جانيها .

ولكم بكت ليلة فوق قفص ليك اليك الوقور تستجديه الحياة بالفاظ فيها الضراعة والووعة .. وفيها مرارة العمر كله ..

- الرحمة يا سيدي اليك ، الرحمة يا سيدي اليك .. ثم تمسح دموعها ولطفي ينظر اليها بأشمئزاز كبير .. ووضيعة يكتنفها دهاء حافل بافضائح . وكانت كلما بكت بين يديه ضارعة مستجدية يشيح بعينيه عنها . ويطيب تضرعها بالوعد المزوم :

- سأتزوجك يا سعدة عندما نبيع المحصول ..

وتنزل تلك العبارات في اذني الصبية كنهم جميل ، تسبح في غمرة اجوائه حالة تم تقدم للبك خدمة المساء المعهودة .

وولت سنة .. وتلتها اخرى .. واخرى .. والصبية الحالة تعيش على اصداء النغم الجميل ، وتمنع

اليك عسارة شبابها - ووروق معانها وهي تبذل العطاء ببراءة مطلقة لتلمحها الاحلام الهائلة التي ستغدو بعدها زوجة اليك الثري الكبير ، ذي الثياب الانيقة التي تختفي وراءها برائن الشر ..

امهل القدر لطفي على طفيلانه ، وامهله كثيرا ، الى ان كان يوم اراد فيه - اعادة - ان يذهب الى حفلة مع خيوط فجر جديد .. فالصبية تنتظره وفي قلبها وله فاضح ، وفي عينها ايات حب مقيم ، تغليه اصداء الجن الرابع . فاستقل سيارته الزرقاء ، وسار في الطريق العريض ، وفقره يردد اغنية غير مقبوضة ، وفجأة اختل متوقدا السيارة واصطدمت بعמוד كهربائي ، اخترقته الى سور حجري مرتفع ، فتهشمته واجتمعت ، وكسر زجاجها واستقرت في مكانها حطاما اسود . وما هي الا دقائق حتى كان رجال الاساف والنجسة يقومون بواجبهم ، ويخططون الحادث الذي اودى بحياة لطفي الى ما نهاية ..

الصبية الحلوة ما زالت ترمق النافذة المظلة على الحقل بنظرة يكتنفها سؤال كبير .. والابتسامة تملأ وجهها كلما لمحت الفيمة الكثيفة تتلبد في السماء تنذر بهطول المطر . والابتسامة تتسع ، والغيوم تقطعي زرقة السماء الصافية .

وولت ساعات والمطر لم يطل .. والصبية تحلم في السماء كأنما تروم لو تصمد اليها وتمزق جلود الغيم لتسحب قطرات الغيث لتروي بها الارض بعد ظما طويل ، كي يكون المحصول وفيرا ، وتزف الى اليك ، الذي يحيي اليها كل ليلة ويهمس في اذنيها مسول العبارات التي تعيش على اصدائها حالة .. ولكن المطر خلدها .. وجمد في السماء . واليك لم يعد اليها ابدا ..

منور فوال

القاهرة



ديوان حميد الهلالي

١٧٦ صفحة - حجم كبير - منشورات وزارة الثقافة بالقاهرة

من هو حميد الهلالي ؟ صاحب هذا الديوان الذي ينشر مشروحا لأول مرة هو الشاعر « حميد بن نور بن عبد الله بن عامر الهلالي » ، وقد كان يكتي يكتي كثيرة ، فثارة يقولون : أبو الأخضر ، وثارة : أبو خالد ، وثالثة يقولون : أبو لاحق . والكتيبة حشد العرب معروفة مشهورة في الجاهلية والإسلام . فقد كان الشاعر الأعشى - مثلا - يكتي بابي بصير - وهي كناية للفرد ، لأن الأعشى كسان لا يصر إلا قليلا جدا - وكان النبي عليه السلام يكتي أبا القاسم ، كما كان يمرر بن الخطاب يكتي : أبا حصي ، وكان علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يكتي أبا الحسن .

ولا تعجب أبها القاري الكريم إذا وجدت أن أبا شاعرنا حميد يسمى « لورا » ! وقد نقول أن هذه التسمية اليوم غير مناسبة ولا ملائمة . وهذا حق ! ولكن مثل كثرنا يسعون ابتغاءهم بأرباب الأسماء سواء أكانت أسماء حيوان مثل أسد ، وكلب ، وكذاب ، أو أسماك طير مثل غراب ، وصقر ، أو أسماء جماد مثل صخر ، وجر ، وحجر ، وبهر ، وحصن . وليس في هذا موضع لغزابة ، فإن كثيرا جدا من الأسماء الأجنبية اليوم تحمل أسماء الحيوانات والنبات والطير والجماد والأقهر والسماك ، مثل : مستر (وود) بمعنى خشب ! ومستر (برديج) بمعنى كوبري أو جسر ! ومستر (فلاور) بمعنى دقيق ، أو زهرة ومستر (فيش) بمعنى سلك ..

وشاعرنا حميد من المفكرين الذين عاشوا في الجاهلية وادركوا الإسلام ، بل لقد فقس في دين معبد عليه السلام أكبر شطر من حياته ، وهو في هذا غير الشاعر حسان بن ثابت الذي شعر حياته ششرين متساوين أحدهما في الجاهلية والآخر في الإسلام ، وعاش في كل منهما ستين عاما ، وبهذا بلغت حياته ششرين ومائة عام .

ولا شك أن حميد بن نور عاش في الإسلام ، فهي حقيقة مسلم بها وقيمة مبرورة منها ... ولكن الشك حول العهد الذي بلغه في الإسلام ، فمن قول أنه توفي في أيام عثمان بن عفان - وهو أربيع الأول - ومن قول أنه أدرك العصر الأموي وأمت به العصر الساسي عهد عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية - ويستند القائلون بذلك إلى بعض أخبار تروى له مع شعراء في زمان عبد الملك ، وإذا صحت هذه الأخبار فإن حميدا يكون من المعمرين ...

شاعر المعمرين ! وكبر السن ... ولدتنا بعضي أشعار حميد على أنه كان خليفة معمرًا طال به العمر ، وأصله الكبير ، وأختي ظهره الزمان .. ومن شعراء العرب من بقوا من الكبر وطول العمر حسدا ستوداهم الحياة ودواهم مع اليقظة ومنوا على أنفسهم الموت . فالشاعر الجاهلي الحكيم زهير بن أبي سلمى - صاحب المظلة الجمية المشهورة المكملة بالأحاديث والأمثال - يبلغ الثمانين عاما فيمل الحياة ، ويصرر عن ذلك لكل والحالم قائلا في قصيدته المشهورة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يش ثمانين عاما - لا أبدا لك يسام !

أما الشاعر الجاهلي الآخر : النابغة الغليلاني ، فقد راى في طول العيش ضررا على الإنسان ، فإن كبر السن يفتي بشاشة الوجه وتقلية الجسم ، ويأتي مرارة الأيام بعد حلاوتها ، ويرى ثمره من السوء ما لم يكن له به عهد ، حتى لا يرى في الحياة شيئا يسره ، ويقول في هذا :

السوء يفسد من يعيش وطول عيش لا يسره نفسى بشائسته ويبد

تسوءه الأيام حتى لا يسرى شيئا يسره ! وما أدرك الشاعر الذي بلغ الثمانين ، فاحتاج إلى ترجمان يصب له كلام الناس في الآن لأن سمعه أصبح قليلا . ويقول في هذا :

أن الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمي إلى ترجمان ! والآن من حياته مبرضى للفرس بعد صفة ، ولتوتعه بعد سلامة - فبينما يرى ثمره قويا إذا به يصفى ويهرم ، وبينما يسرى صحبها عافى إذا به يتحل ويغرى ، وما بلغت الصفة حدها إلا كانت دليلا على الأقل نحو الرقى ، ولهذا قال النبي عليه السلام : « لو لم يكن لأب من آدم إلا الصفة والسلامة ، لكفاه بهما داء قاتلا » . وقد أخذ الشاعر حميد الهلالي هذا المعنى لفتحه في بيتين يقول فيهما :

أرى بعري قد رابني بعد صفة وحسبك داء أن تصعب وتسلم ولا يلبث العمران يوما وليسعد إذا طعنا أن يردكنا ما نريهما

التنصر على الشباب القدر وكأوه - حين بلغ الكبر وطو السن من الشاعر حميد الهلالي الذي ينتهي شبابه المبهر ، ويتنصر على مسا فراخ من أيامه ، وهي نعمة نفعها دائما منذ المعمرين ، سواء أكانوا شعراء أم غير شعراء .. فالشعراء المعمرين يصرون على تصهرهم الشعر الذي يظلمهم أذاته ، ويبصر (الشراء) يتنصرون بأهله يتنقلونها ، أو حرة يصنمونها ، أو كلمة قولونها .. والوذي في العالين واحد ، وهو التنصر على أيام الشباب ، حيث العمر ريق ، والزمان ناع ، والصفة مواتية ، والبصر صحيح ، ومتاع الحياة يجاب بأمر مجهود ... ونزوى لشاعر (حميد) أبيات خمسة في التنصر على الشباب يقول فيها :

ليس أشعر طيب الدهر مرجتا حتى تسعدو كتبنا أم صبار مالي قد أصبحت ألا قد تنلني بعضي التواتك حيل بعد صبار من بعد ما كنت فيها ناشئا فمرا كاتني خار من بيت عطار لقد ركبتم الصفا حتى فعلوا أوجيها معا ركبتم الصفا طوري والقدري لا أبصر الشخص إلا أن أفرسه مضوشيا بعري من بعد إحصار ! وإذا شرحت بعض المفاك هذه المقطوعة الغريبة على بعض القراء ، وجدنا أنها صورة جميلة مؤثرة للشباب الذي لا يعود أبدا ، ولا يرجع إلا إذا عادت الأرض الحرة ذات العجالة السوداء إلى كتف .. وهيئات ذلك أن يكون ! ويقول الشاعر في البيت الثاني ، لقد أصبحت كبير سني وصفف فاني كالق - أو السراب - الذي يصفى رائي ، فيصبه شيئا ما هو بشيء ... وقد نلص الزمان - أو حواش الزمان - حيلي ، وفعل على تحلل أبرامه بعد أن كان حبيلا شديد القتل - وهذه الصورة كناية عن الصف الذي عمل فيه الزمان على توهين قوة الشاعر . وفي البيت الثالث ذكر الشاعر السن أيام شبابه حيث كان ناشئا حيا ، وفرا لم يجرب الامور ، وكان يتعسف بالقل ، ويترف بالقيم ويتطلب بالظفر ، كانه خارج من دكان الصطار ، كما يقول بلفظ زامته ، أو أخرا في من « الكوافير » كما نقول نحن بلفظ صرته ، ولسان زماننا !

وفي البيت الرابع يصور لنا الشاعر المسكين كيف الجاه الزمان إلى أن يتخذ « الصفا » يركب طعنا ، ويستند إليها ، ويستعين بها



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤهل شهر

بناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الادب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للانطلاق تراجع ادارة المجلة

•

الهاتف : ٢٢٨١٩١٩ Dir : 223819
البريد : ٢٢٥١٢٩ Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الادب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيسر ادب

على اقامة ظهور المنقوس ، وتمتلكه المنكس . ولقد طالت ملازمة الشاعر
لركوب الصبا ، وكثرة ملازمته لها ، حتى اوجعه ظهوره ، واكثره اصابعه
والظفر من كثرة قبضه بيده عليها ...

وفي البيت الخامس يصور لنا حميد الهلالي نصف بصره ، ومشي
فيثبه ، فلا يصر للشخص الا من قرب قريب ، ولا يبين القرينات الا
من كتب ، بعد ان كان يصر بصرها طبعيا قويا ...

موقف الشاعر « حميد » من الاسلام - لا تكاد المصادر والمراجع
تستعمل بما نطقه من السيرة الفلسفة والحياة الشاملة لحيد الهلالي
في جبهاته واسلامه . فولا هذه الاخبار الادبية البصرة هنا وهناك
والتي نستطيع ان نلم عنها حياة الشاعر في سطور . ومن عجب ان
الشاعر حميد الهلالي لم يجمع له شعر في ديوان قائم بذاته الا في
هذه الطبعة المصغرة من طبع دار الكتب سنة ١٩٥١ . ولكن يصف
ابيات شعره الدائرة يستشهد بها في كتب النحو والفلسفة والصرف
والبلدان والاشغال ، ويظهر انه من الشعراء الهادئين الذين دخلوا
الاسلام في صمت ، واقتنوا الذين الجدي في جدوه ، فلم يلف من
الدعوة الاسلامية موقف حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة مثلا في
الدفاع عنها ونصرة نبينا عليه السلام . لقد كان « حسان » مثلا وانما
امام القترين بالرصاد ، بعيد هجائهم على الدين الجديد ، ويكيل لهم
الصاح صاعين ، واتقي عليه السلام يشد الزد ، وعظا له ان روح
القدس يؤيده . ويظهر حسان بن ثابت على فرش كلها ، وعلى
الشرا كله ، فيقول مخاطبا « ابا سبلان » :

الا ابلغك ايسا سفلان عيسى طانت جوفك ، نكح ، هسواء
ان سيوفكنا ارتكبه عيسدا . وعبد الله « سادها الابناء

ويقول مخاطبا القترين في سفره طاعة :

فمن يهجو رسول الله منكس ويمعده ، وينصده سواد
فان ابي ، ووالسدة ، وعرضي لعرضي محمد منكم وقاد
اما حميد الهلالي ، فلم يكن من شعراء الدعوة ولا المناهضين عنها ،
بل اكمل بالقبول لها ، والدخول فيها ، والاشهاد اليها ، شاكرا لله ،
ساجدا له ، مؤدبا الزكاة ، ومطيقا الصلوات ... وما اصله وهو
يقول :

حسنى اربا ربنا محمدا يتلو من الله كتابا مرشدا
لهم لتكذب ، وغرنا سجسدا نعلي الزكاة ، وتقيم السجدا

فرود الحياة ... - لقد ادرك حميد الهلالي كما ادرك غيره من
شعراء العرب لثافة الحياة وفروها ، وعصم دوماها على حال واحدة ،
وقصر الارب مما طالت ، وللقب الغيبة الاباحية ، ما بين اعطاء واحد ،
وزيادة ونقص ، واليالي وادبار ، وسعد ونحس . وقد يسبب هذا
الادراك عند بعض الشعراء انتهاء الى فلسفة اتهام الفلوات ، وسرعة
الاستنتاج ، والتمسك فرس اللهو ما دامت الحياة زائلة ، والتمسك
بأفلة ... كما نجيده مثلا منذ عبر العيام ... وقد يسبب عند شعراء
آخرين حزنا من اللهو ، وجنوحا الى الزهد او الاعتزال ، فاشاعر
عمر العيام اسرف على نفسه في الفلوات ما دام اليقاف في الدنيا مدموما
.. وكذلك فعل قبله الشاعر المصغر « سحيم » فما شاعرنا « حميد »
فقد مال به ادراك فرود الحياة الى الاعتزال جدا في قلب الحياة ..
فما تكالب على مال ، ولا هافت على لذة ، ولا اسرف في لهو . وما
اصدقه وهو يقول في فرود الحياة : وفي الاكالي الكواكب التي نلعل
انفس بها يوما بعد يوم ، وقد ضل بها القدماء من امثال « هاد »
« وبع » فما بقوا ولا خلوا ، وما نزال تتلهم بها اليوم ، كان ميسر
المؤمن لم تتلهم ، وحوادث السابقين لم تردنا :

وكان لفتنا من تميم ولذة ، وبعينا المصنف والترجع
وفلنا لعل الكاد يرو فلتنتي ، وعل لعلنا نلتشبا يترجع !
اماني عام بعد عام غلقت ، بانها لها لسان عباد وتيسع
ولتنا الدنيا فرود ولا تسرى لها لذة لا تبعد ، وتترجع

عقله ما فوق السحاب وتجنبا له المال يعطى ممن يشاء ويمنع الحكمة عند الشاعر حميد - لا نستطيع ان نصدق حميدا الهلالي شاعرا حكما يفق على السنوى الذي يفق هذه الشاعر زهير بن ابي سلمى مثلا ، فالشاعر زهير قد امتلا شعره بالحكم والامثال ، حتى لنجد في مقلته الجميلة أبياتا كثيرة في الحكمة وخاصة تلك التي تبدأ بـ قوله : (ومن) كمثل قوله :

ومن يك ذا ذمل فيقبل فيقبله عسى قوم يستغن عنه ويغمص
اما الشاعر حميد الهلالي فلم يفق شعره على الحكمة والقتل ، وان كان يروى له هنا وهناك بيت حكيم يصلح للتشبه والاستشهاد . ومن ابياته في ذلك قوله :

فصلى الله في بعض افكاره للفتى برشد ، وفي بعض الهوى ما يعاند
ليس هذا العملى المعزى للنفس والحسلى لها عند نزول الكروء ،
يذكرنا على الفور بقوله تعالى : « عسى ان تكونوا شيئا وهو خير لكم ، عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم » ؟
ومن أبياته المشهورة السائرة سير الامثال قوله :

إذا لم يصمك الفتى من يخالسه أكله بما يلى الفتى من يشاره
وقد صدق شاعرنا ، فان هناك الناس يستمعون ان يتحدثوا ممن اتسمهم ، ويضطلعون من ان يعضوا من ذواتهم موصفا لحديث ... فهم لا يشيرون مطلقا الى عمل مخلوء ، او الى فعل اتوء ، او الى بلاء حسن قاموا به في الحروب مثلا .. وممثل هؤلاء الناس المسيحين المتواضعين لا يفتني فاسلمهم ، ولا يفسح بلأولهم ، فاتهم اذا لم يتحدثوا فته فسوف ياتي من شرناهم من يحدث به ، لان الفصل لا يخلص ، حتى ولو اخلاه صاحبه ...

ومن أبيات حميد التجارية مجرى الامثال قوله :

وقد ركب الامر الذي ليس حافه اذا ما عاشقته اليه الفرائس
والفراس : هي الفروقات ، وكثيرا ما ينفق امرء اليه دكوب
شبه فوس من طبعه ان يركبه . وهذا المثل يؤيد معنى قولنا ان « للفروقات احكام » فلا بد للمرء ان يتولى على امرها حتى يخلص الله امرا كان مضلوا ...

الهجاء الساخر .. !! - يظهر ان اليهود كان غالبا على جميع الشعراء حميد الهلالي ، كما كان الاعتدال مزية في سلوكه في الحياة والمجتمع . فقد مدح مثلا ، وهجا ، واقرض ، ونهم وكلمه ما يكن صرفا ولا مجاوزا لحد . لقد كان يمشي في ذلك باعتدال . وقد كان ممن الممكن - مثلا - ان يسرف في الغزل والتشبيب كما فعل صاهبه الشاعر سحيم عبيد بني الصمصاس ، الذي صدر ديوانه في « الكتبة العربية » ، وقد كان من الممكن ان يهجو مثلا ويطنل لسانه في اعراض الناس - كما فعل من بعده « العظيمة » الذي لم يسلم من لسانه احد ، حتى ابوه ، وأنه ، بل حتى نفسه .. ولكن الاعتدال كسان غسيلة الشاعر حميد . ولعل من احيث هجائه ما قاله في رجليه ارسلهما الى محبوبة له يعامل رسالة منه اليها .. ولم يهج الرجيل بالطبع لانهما يؤديان له خدمة فزلية ، ولكنه انتزه هذه الفرصة لهجا قبلية كان يعلبها - وهي قبلية حريم - واولى الرجيل الرسوليين ان ينتسبوا - اذا فسطا - الى قبلية « حريم » هذه لانها قبلية ذليلة لا يخالف بابها ، ولا تغشى القارة منها ...

ولكن جهاده اللاذع الساخر حقا هو ما قاله بوجه به الربيع العامري حينما كان واليا على اليمامة ، فقد ذكرت يعطى كتب الادب والتواور في اخبار الحماني ان الربيع هذا بلغ من حقته انه اخذ القود - الثار - من كلب كلب اخر ، قاله هذا الكلبين عقر صاحبه ..! وقد شاعت هذه الحكاية وذاعت ، حتى تمد بها الناس الى والي اليمامة ، ووجدوا الشاعر حميد فرصة طيبة كلسفيرة من هذا الوالي الاحقر ، فقال بوجه :

شهدت بان الله حق قلناؤه وان الربيع العامري رقيقع

اعاد لنا كاتبا بكتب .. ولم يدع دعاء كسلاط المسلمين تاسيع رثاء الظليفة الشهيد عثمان ... قلنا ان الشاعر حميدا الهلالي كان من المصفرين الذين عاشوا في الجاهلية وادركوا الاسلام ، وقلنا ان بعض المراجع تقول ان حميد امتد الى ايام الظليفة الاموي الخامس عبد الملك بن مروان ، وايضا ما كان الامر فقد ادرك حميد عهد عثمان بن عفان - بدون شك - وادركه القتران بين يديه ، وأخص حطرس هذه الفترة الدامعة على الاسلام والمسلمين ، فقال فيها شعرا رقيقا مؤثرا يصور به مصرع الظليفة الشهيد ، ويعمل على الذين اسلكوا دمه الطاهر قلما ومصيبة . ونتركة هنا بقوله في هذه الترية :

اتي ورب الهديا فسي مشافرها
وحيث يقضي تدور الناس والتسك
ورب كل منيب يستات منهجلا
يتلو الكتاب اجتهادا ليس ينسك
لا اترك الذي اوليتني اسبدا
عن اهل يرب اذا غير الهديسكوا
صارت الى اهلها منهم ووارثا
لا راي الله في عثمان ما انتكوا
الساقبي بدسه قسط ومصيبة
لا يد - لاهودا - من ليهج سكوا
والهاتني ستر ذي حق وسعرة
فاي ستر على اشباههم سكا
والفاني باب قل لا يزال
وقد كان الذي تولاه الشاعر حميد ، فقد فتح مقتل الظليفة عثمان بن عفان بابا للشعر والتراجم والخلاف بين المسلمين ...

القاهرة محمد عبد الفتي حسن

تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري

نابك الفكون محمد زغلول سلام - ٢٧٠ صفحة - منشورات دار المعارف بالقاهرة

يحاول المؤلف في هذا الكتاب - كما يقول - ان يسترد ما فات من المحاولات السابقة من جمع شامل لتراجم النقد العربي والتاريخ له منذ اقدم عصوره ..

وهو يصرح في المقدمة انه اتجه السبي جانب التاريخي التطوري فنيا تحليليا تكامليا ، يعرض لقروح الادبي ويتناول النقد في العقبية التي يتناولها .. وقد بدأ الكتاب بمقدمة لمراعات التلذذ والبلافة العربية تتلوت : التألف والنقد عند العرب ، والآثار في التألف ، والبلافة مفهومها ومصطلحاتها ، ومعنى الفصاحة والبليسان والبدع ..

وقد كان المرجو في كتاب يعرض لتاريخ النقد العربي ان يسدأ بدراسة تاريخية لمصطلح « النقد » او يبين متى ظهرت هذه الكلمة بصفتها الادبي ولكن المؤلف يتبنى ببيان مفهوم النقد منذ اوجن سلام الجعبي وابن رشيون دون ان يضى ما سبق ذلك من عصور .. وبعد هذه المقدمة يتناول المؤلف ماهية الشعر وآراء النقاد فيه ، فيسبر على نفس الطريق من اطفال ما قبل العصر البساسبي في النقد ، فهو يبدأ بتعريف قدامه بن جعفر لشعر ، ثم الامني وغيره ..

ولا اريد من ذلك ان هناك تضاريف سابقة للشعر ، ولكن المؤكد ان هناك مفعوليا لشعر عرفته العرب منذ العصر الجاهلي او ان هناك موضوعات فيها وضع العرب فيه الشعر ، وما دعا نولن ان النقد العربي قديم الجذور ، ولكتاب يريد التاريخ له منذ اقدم عصوره فقد كان لا بد من الإشارة الى معنى الشعر عند العرب منذ صار فنا ادبيا .. ولا ندرى ، هل اراد المؤلف في هذا الفصل ان يعرض لماهية الشعر وآراء النقاد فيه منذ العرب ، أم انه يريد اللقد القروبي الحديث ايضا ؟

فهو في حلال عرضه لآراء نقاد العرب القدماء في الشعر يعود آراء نقاد الأروبيين « كتلفه عن » جويو « وسبسي » وفولتير وكولرودج « نسج لا يلبث أن يعود إلى نقاد العرب » دون موازنة أو ربط بين هذا وذاك. وقد كان المنهج التاريخي التطويري – الذي أعلن المؤلف أنه التزامه في دراسته يقضي بعرض هذه الأفكار وفق أصالتها وتطورها ، ولكن المؤلف لا يجد مائلا من عرض آراء نقاد العرب « نسج العودة إلى آراء أرسطو أو عرض آراء المعادين من الأروبيين لم الرجوع إلى آراء العرب. وبعد هذا التجهيز يدخل المؤلف مباشرة في فضاءات النقد تحت عنوان : « من فضاءات النقد » فيعرض لطيفات الشعراء « نسج الأفكار والمعنى » ثم السرفات ولا نعلم لهذا الترتيب من معنى ، فهو ليس مرتبطا بالمصدر ولا مبنيا على جانب التطور ، فالسرفات قضية نقدية هوت في كل عصور النقد العربي من الجاهلية حتى اليوم ، وإن كان المؤلف لا يحاول التحديد الزمني في شيء من ذلك ، فهي حديثه ضمن الطيفات يقول : « وكانت تهيم على جو النقد تقريبا فيجسمل عصر التدوين في القرن الثاني الهجري » مع أنه ينقل بعد ذلك من جيبه رأيه في شعر النسي ووليد شاعر معروف ، ثم يقول : « وقد جمعت هذه الأحكام وإماتاتها لإواخر العصر الأموي أو في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة وتدلوها الرواة من بعد ، وسجنت في كتب النوازل وأخبار الشعر والشعراء منذ القرن الثالث الهجري » .

وقد كان عليه ما دام في صدد التاريخ لقضايا النقد أن يوضح لنا تطور هذه القضية أو يسجل لنا التتبع الدقيق لورودها في كتب النقد القديمة حتى نستطيع فتحنا ونحيث بنظورها . أما هذه الأحكام التقريبية الشاملة ، فليست من سبيل تاريخ النقد . وإن كان المؤلف يعود بعد ذلك إلى طيفات الشعراء « فيعيد بعض قوله السابق ، ولكنه يشير إلى أن أول من حاول جمع الشعراء الفصول في كتاب من علماء القرن الثاني ابن سلام والأصمعي ، في كتابهما : « طيفات شعور الشعراء » وفعولة الشعراء » ويعرض بالنواسة للكتاب الأول فقط ، مع أنه يقول : « .. ولهذا تبدأ بالخطبت هـ » فكان مقتضى ذلك أن يستأنل كتاب الأصمعي أيضا ..

ولا نجد في الكتاب كله فصلا يقضي لتاريخ النقد غير هذا الفصل الذي جعل عنوانه « دراسات نقد الشعر ومتاحجه إلى ابن سلام » وفيه يشير بإيجاز إلى النقد في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وبني أمية ، ثم إلى الحركة العلمية والزها في النقد في القرن الثاني نسج يشير إلى طائيف الشعر والشعراء على وجه الإجمال .

وبعد ذلك يسير الكتاب حتى نهايته على استعراض كتب النقد في القرنين الثالث والرابع والوقوف منسج بعض آرائها واتجاهاتها النقدية « فيعرض كتاب الشعر والشعراء لابن قتية ثم الجعفي فسي نقد الشعر لابن المعتز ، ثم طيفات الشعراء للحداد لابن البجير وعيار الشعر لابن طباطبا – وهو كما يقول المؤلف يسبق عرضه – والوازنة للأدبي . ثم يعرض للمدرسات التي فشت حول أبي الطيب المتنبي ، وهي الرسالة الحاتمية في مآخذ المتنبي ، والكتف من مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد ، والمصنف في المفاصلة على سرفات المتنبي لابن وكيع والتنيسي والوساطة بين المتنبي وخوصومه للجرجاني .

ويبعد بعد ذلك لدراسات أخرى في نقد الشعر ، فيشير إلى ما في كتاب الكامل للبريد من آراء نقدية ، وإلى كتاب التشبيبات لابن أبي عون وديوان الحامي لأبي حلال والموشج للمرزباني ثم صبعة الشعر للحامي ، وكتاب الصناعتين لأبي حلال الصكري .

ولا نرى مبررا لتجاهل المؤلف لكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر مع أنه يشير إليه في مكتبته النقد في القرن الرابع في نهاية الكتاب. مع أن دراسة كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر كانت مسن المفروضة بكان لا يملكه لقدامة من نازر بالثقف اليوناني ، كما يقولون ، وكذا نود أن يوضح المؤلف قضية اتصال النقد العربي بالنقد اليوناني وبفضل

فيها ، من خلال دراسته لكتاب خضراء ، بدلا من هذه الإشارات الوجزة التي يتلقاها من بعض المادرسين المعاصرين .

ويختص المؤلف بكتابه دون خاصة ، ودون استعراض لسارد النقد العربي من نشأته حتى القرن الرابع ليخرج بنتائج من دراسته ويوضح « خط التطور » الذي يؤكد في المقدمة أنه واضح تماما في هذا الكتاب! ولا مأخذ على المؤلف بعد ذلك غير إهماله الإشارة إلى المراجع في نقوله ، في أكثر الأحيان ، وقد نجد في الصفحة الواحدة مسدة نلؤل يشير إلى مصدر بعضها ولا يشير إلى مصدر الباقي ، مع أن الدراسة الجامعية المتخصصة تلتزم الإشارة الدقيقة إلى المصدر والصفحة وكذلك فعل في مراجع الكتاب فلم يشر بدقة إلى الطيفات ، وبعض هذه المراجع مطبوع أكثر من طبعة بعضها محقق وبعضها غير محقق .

ولا ننكر على المؤلف جهده الذي بذله في دراسة هذه الكتب النقدية ، فهو فائدة ممتعة ، لكنها تروى منه فسي الطبيعة التالية أن إن يتنصع المنهج التاريخي في الكتاب وإن يتم بتعديده المراحل وإبراز الانعطافات .

القاهرة

مصطفى عبد الواحد
ماجستير في الأدب والنقد

شعراء من كربلاء

من القرن السابع الهجري حتى مطلع القرن الرابع عشر

دراسات أدبية – تأليف سلمان هادي الطحمة – ٣٦٨ صفحة – مطبعة
الاداب في النجف الاشرف

سمت عديبة كربلاء بتاريخ حافل بالعلوم والآداب بوصفها ملتقى أرباب الرأي والفكر وجميع العلوم والفلسف .. وظل هذا التاريخ شاهدا لشجيرة ممتازة أضافت إلى تراثنا العربي تراثا لولا فوأل الدهر لبقي ساطعا امام المادرسين والمنتسجين .. إن الكتف من الترق الدفين مهمة تتطلب الكثير من الكتاب والمشتقات من أجل رفع غبار التسيان والأعمال من أسماء الشعراء وهذا ما لاقاه صديقنا الكتاب الأستاذ سلمان هادي الطحمة عند تأليفه دراساته « شعراء من كربلاء » .

لقد كانت مصادر دراساته تعتمد على دواوين بعض الشعراء وهي بضوط اصحابها بالإضافة إلى اقتباسه بعض الطوفا من المصنف الصادقة في العهد الثاني وبعد الحرب العالمية الأولى وبعض مصادر أخرى لا تتجاوز أصابع اليد .. ومما يؤسف له بأن هناك كثيرا من الشعراء – كما يقول المؤلف في المقدمة – لا يزالون قيد الضياع كثرة الحوادث المؤلمة الحزينة التي مرت على المدينة في عهود القلا من ثورات وحروب وقوية وفوضى ودم وطردة حتى أن بعض الشعراء لم يعرف له نصير أمثال الشيخ يوسف ويطعم واسق المؤمن وموسى الأصغر .. من خلال هذه الحوادث استطاع المؤلف أن يخرج بهذا السفر النسي الذي يستعرض فيه واحدا وخمسين شاعرا من القرن السابع الهجري حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري وكلهم مسن الشيخ الإجملا والسادة الأفاضل .

يتناول المؤلف التعريف بكل شاعر مع ملاحظات من شعره التي ذكر آثاره أما مصادر دراستهم فتتفق كلها على أشياع مصرهم وطعام زماتهم من طريق الجاهلي وحضور المناظرات والناشقات التي كانت تدور آنه .

كان قسم كبير من هؤلاء الشعراء قد أهملوا تدوين شعرهم أو نشره بين الناس وكان عامل الفقر يلعب دوره في تنقل الشعراء من بلد

الى اخر سببا وراه الرزق كما كانت الحوادث الرهيبة تترصد آنفاسه وحركاته كل هذه الاسباب مجتمعة دعت الى ضياع شخصية الشاعر وضياع هذا التراث الادبي من تاريخ الادب في العراق وعما يدعو اليه الانس ان يهدي العلامة السيد عبد الحسين آل فطمة ديوان الشاعر فصولي الهنداوي بنسخته الخطية النفيسة الى الوالي جيسال باشا عندما زار كربلاء عام ١٢٢٩ هـ .. ومن يدري لعل الباشا اعدها يعفوره الى مرافقه الذي لا يقيم جملة ولو بسيطة باللجنة العامة للدراسة !!

وليس هؤلاء الشعراء نسخ خطية من دواوينهم ترد في عدة من شيوخ الطابع يكاد يفرحها الشبان وتتفاهل عليها مراهج الزمان مثل دواوين : محسن ابو الصب ومحمد مهدي القزويني وعبد الوهاب آل الوهاب وعبد الكريم التايف وحسين العلوي ومحمد صالح القزويني وعباس ابو الحسوس وايراهيم الطوي .

ومن بين هؤلاء هؤلاء الشاعر الشاب المتكود الطيف الذي ولد عام ١٩٢٠ وتوفي عام ١٩٥٨ وهو في عمر الورد « عباس ابو الحسوس » صاحب ديوان « هدير السلال » غير المطبوع شاعر ابتلاء الله بالفقر والمرض صور الامه في قصيدة رائعة .. وهي بعنوان « الله » يقول فيها :

الطبل ايبت حسن اسنان معترتها التاليات
وسماعة سعلت لظافتها اليابالي الفاصلات
وعلاب صلب الفناء بهما وكفها المصبات
لم تبق غير الاكربات واصل ليدب الاكربات ؟

كم ليدت قد بت مغلوبا على نفسي السجينة
اشكو هومي للجوم وحسر الاسي العيشة
واصب في سمع الزمان ارق انفاسي الحزينة
واحن وجدا كتمت على النسيم طلي المنة

بقيت هناك ملاحظات حول الكتاب وهي : باق المؤلف يذكر في الصفحة ٢٤ غير استهزاء نعر الله العاتري كما ذكره في الصفحة ٢٢ ولكنه لم يذكر السبب المباشر .. كما وجدت عدة استبدالات في الكتاب منها في صفحة ٢١ ، ٥٢ ، ٢٥٢ الى ٢٥٧ وكان ينبغي ان تكون في مواضعها .. الا ان الكاتب مطووع في ذلك لانها جاءت متفرقة بعد التحقيق والتدقيق .. اما الاخطاء الطبعية فهد جاوزت الالفين وهذا امر سوف لا نلاحظه مكررا في الطبعة الثانية ان شاء الله وهذا غير بعيد على مؤلف كتاب تراث كربلاء .

الكوت - العراق
كاظم محمد حسين

القمح والوسج

تأليف عبد الجبار داود البصري - ١٩٩ صفحة - من الحجم الكبير - مطبعة الجمهورية ببغداد

ان كلمتي « القمح والوسج » تختبران ابرز مفاهيم المذهب التقدي الذي يحظى بشعبية اكثر من غيره .. اي انهما يتفرسان ان يكون التقدي عملية ابراز الحسن والثراء والغصب في الازر الادبي السي جانب ابراز العايب والجفاف والفقار . هكذا يبدأ الاستاذ البصري مقدمته كتابه هذا مملأ كلمتي « القمح والوسج » .

والكتاب يحتوي على مجموعة من المقالات في التقدي وفق في بعضها وقصر في البعض الآخر . ولذا كان الادبي صورة الحياة بما يرسمه لها من معالم قوية بارزة وبما يظلمه من عوالة الخالف على جوانبه المظلمة

فان التقدي هو الجانب الاخر لصورة الحياة بتصحيحه لبعض اجزاء الصورة او تكميله لها او توجيهه للثلاث نفسه مرفى صورته على الناس كما يقول الدكتور ماهر حسن فهمي .

وعندما يطالع القاري على التقدي قلته يضم القسي تجاربه تجارب اخرى توسع دائرة معلوماته . والتقدي باخذ بيد الادباء وبشر لهم الطريق وكثيرا ما نرى شعراء يبعيدون عن منهجهم ويغفرون طريقتهم تحت تأثير حركة التقدي ، وكثيرا ما سلك التقدي التواء الكشافة على مغيرة فنان مقوم فاضح من المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان وتشرب نعوهم الانعاق . فالتقدي صورة لازمة للاديب وربما يتطور التقدي او تتبطل معايبه او تخطف مظاهره ولكنه يبقى دائما وابدا موجها همة تقوي القلوب وتبدلت الاحوال .

يقول المؤلف في صفحة (١٨) عن الشعر الحر : « الشعر الحر فهو لا يهدم التراث العربي في الشعر ولكنه يكمله » بينما يقول في صفحة (١٩) ما يناقض قوله هذا « .. وبالرغم من ظهور ابعاده المستندة على سطح الحياة الاجتماعية فان وراة تقرباتها قوة خلية نعل باستمرار والشعر الحر مادة مستندة ظهرت على سطح المجتمع العربي ، ولكن الدراسة العميقة لاصولها واسبابها تثبت انها جزء من التناول الكبير الذي اصاب الثقافة العربية نتيجة الاتصال بالغرب ، وانها نمل على وجود قوى اجتماعية هائلة كانت تعمل لتغيير وجوه المجتمع » .

في صفحة (٤٤) يتكلم المؤلف عن التنازع من القرى فيقول : « انهم يمتنون الى الماضي .. ويعيون كل ما يذكركم به » ولا شك ان ازل صور الريف في المجتمع العربي لراة الفصح ، والذي اراه خلاف

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

في كل مناسبة سميدة خير هدية تقدمها :

الحرب العالية الثانية

موضوعات يعالجها الكتاب بجزيه

- «انترو» من النشاة الوضيعة الى اللزوة
- دور المصفحات في الحرب الحديثة
- الحرب في الجبهات الاوربية كافة
- الحرب في الشرق الاقصى
- الحرب في شمالي افريقيا والبلاد العربية
- الحرب البحرية

الجزءان بمسعر ١٠٠ ليرة لبنانية

ظهر حديشا



- جبران حيا وميتا - مجموعة تشتمل على مختارات مما كتب ورسـم جبران خليل جبران ومما قيل فيه - قدم لها وعني بتأليفها وأخراجها : حبيب مسعود - الطبعة الثانية - ٨٥٠ صفحة - مع عدة لوحات بوشة جبران - حجم كبير - أصدرته لجنة جبران الوطنية في بشري لبنان - دار الريعاني للطباعة والنشر بيروت .
- الأدب الشعبي ولقته - تأليف وليـم صعيـب - ٨٠ صفحة - منشورات مجلة الـبدر ببيروت - مطبعة النجوى ببيروت .
- زوارق الفـيـر - مجموعة شعرية - مصطلحي الجوزو - ٢٠٠ صفحة - مطبعة دار الكتب ببيروت .
- الفنان والتماثل - مسرحية - تأليف لويـج بيراندلو - ترجمه خليفة محمد التليسي - ١٦٨ صفحة - الكتاب ٤ في سلسلة الكتاب اللـبيـي - منشورات اللجنة العليا لرعاية الفـنـون والأدب - مطابع وزارة الإعلام والثقافة بطرابلس ليبيا .
- النواير - مجموعة خواطر ولطيفات - تأليف جيسى آل مسوح - الغلاف بربشة الفنان أدنو - الجزء الأول - ١٢٨ صفحة - منشورات دار الزرك في حلب - مطبعة ميم الروم الكاثوليك في حلب .
- أحلام الزورق الفـريق - مجموعة شعرية - عبد القادر حميدة - مصمم الغلاف زهران سلامة - الرسوم الداخلية فتيـل نـسـاج - ١٥٢ صفحة - منشورات دار الكتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- قاموس أحياء الالفاظ - تقديم وتحقيق وشرح أسامة الطيبي -

ما يراه المؤلف ، إذ ليس في كل لحظة يجد الإنسان نفسه في حاجة لأن يقول الشعر ، ولا في كل حالة يصعب الدفاع اليه . هناك تجارب شعورية معينة تثير انفعالات شعورية خاصة لا يستغنى عنها التعبير الشعري ، وهؤلاء الشعراء الذين تناهم الاستاذ البصري لمع نجمهم في الاربعينيات بعد الحرب العالمية الثانية ولا شك أنهم قد عاشوا ما عايناه كافة أفراد الشعب للحصول على الخير حيث التجهر على القبايز والافران والتنازع بالملك وهذا هو كان له التأثير الأكبر في أشعارهم وقد بدأ قال الشاعر العربي :
وإذا غلبت فيه عيسى تركته
فإذا غلبا يوما فقد نزل البـلا
جاء في الكتاب بمعنى التكرار فمن ذلك على سبيل المثال فسي

صحيفة (١٠٦)
باسمك يا اخوتي فتيت في ليل التناز
تكرر في صحيفة (١٠٨) وفي صحيفة (١٢٥) ووفق الاستاذ البصري في نقد الشاعر حافظ جليل في فهمه المكلف الى ايمد حدود التوفيق مما يستغلل التناز ويستوجب التقدير .
اما في نقده للرحوم الاستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري

الجزء الأول - ١٢٤ صفحة - حجم كبير - دار الوفاء للطباعة والنشر بدمشق .

● نحلة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب - تأليف عبد الرحمن يوسف بن الصايغ - حققها وقدم لها وعظ عليها هلال ناجي - ١٢٦ صفحة - دار بوسلامة للطباعة والنشر بتونس .

● فلسطين - المنتاحيات نشرت في جريدة « الحياة » قبل التكملة وانتاعها وبمضا - تأليف كامل مروء - ١٢٨ صفحة - منشورات جريدة الحياة ببيروت .

● اصداها الصمت - مجموعة شعرية - رياض فاخوري - ١٠٠ صفحة - مطابع الخال أخوان ببيروت .

● الصفاة والشباب : كيف تعيش فويلا ونقل شابا - تأليف الدكتور اريك تريم - نقله الى العربية محمد ادب العامري - ١٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات عويدات ببيروت - مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الفزاة - تأليف اندريه مالرو - ترجمة فايق كم نقش - ٢٢٢ صفحة - حجم كبير - منشورات عويدات ببيروت - مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الصفايرة المنسية : كامل الصباح - تأليف يوسف مروء - لتقديم سعيد قتل - ١٥٢ صفحة - منشورات مروء العلمية ببيروت - مطبعة فغالي ببيروت .

● النحان عربية على اوتار من الرب - تأليف فؤاد الكبياري - ١٧٢ صفحة - حجم كبير - منشورات صفاحيا ببيروت - مطبعة النجوى ببيروت .

● زوايات من الفرات - تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية - ١١٦ صفحة - حجم كبير - الكتاب ١٨ في سلسلة تحقيقات فوطفورية من وادي الفرات - المطبعة السلمية بدير الزور سورية .

● ولاد الوصال - مجموعة شعرية - عبد المجيد البيروني - ٦٢ صفحة - منشورات خفارة الفنون والثقافة بليبيا - مطابع وزارة الإعلام والثقافة بطرابلس ليبيا .

● ممرتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصيرونية - تأليف عبد الكريم غلاب ومحمد العربي المساري وعبد الجبار المسحبي - الجزء الأول - ١٨٨ صفحة - سلسلة كتاب « العلم » - مطبعة الرساة بالرباط القرب .

فلم يوفق كثيرا وقد جانب جادة الصواب فمن ذلك ما جاء في صحيفة (١٦٦) حيث ذكر وجود تناقض في قصيدة الناصري قائلا ... فهل ينال الهلال الى اخر الليل والحقيقة ان القمر يظهر على شكل هلال في التربع الثاني وقيل ان يدخل في الحلق .

والحقيقة ان الناصري من اولئك الشعراء الذين ينتسبون فسي الواقع الى كل شعر والى الاستاذي جماعة ، وقصائده كلها تنبش بعمرارة وبمطوية فنتالية فريفة لا تنجدها في الشعر العراقي التقليدي او الكلاسيكي كتشعر الرصافي كما يقول الدكتور احمد زكي ابو شادي (فضايا الشعر المعاصر صحيفة ٢٠٠) :

ان شعر الاستاذ الناصري يتبش بالعمركة وبفيض بالظافة الشمورية فيستوي الالباب وباخذ بمجامع القلوب كما فيه من ابتاع قوي منسق ومن صور وفلال وحلاوه جرس .

وفي الختام لا يستعني الا ان اشد بالجهود التي بذلها الاستاذ عبد الجبار داود البصري في كتابه القيم هذا السدي ساهم الجميع العلمي العراقي على طبعه واتمنى له مزيدا من التقدم في عالم النقد والمؤلفات الرواج والازدهار .

بفضلان
عبد الخالقي عبد الرحمن

مجلة الفدرية في ستر

المؤتمر السادس للدراسات الآسيوية العربية في قرطبة

بقلم عيسى التاعوري

في قرطبة الجيدة ، عاصمة الفكر العربي الإسلامي ، وعلى ضفاف نهرا الشهير المعروف باسم « الوادي الكبير » - أو « فواد الكبير » كما يدعونه اليوم بالآسيابية - عقد المؤتمر السادس للدراسات الآسيوية العربية من صباح يوم الاثنين ١٦ أكتوبر ١٩٦٧ في مصر يوم الاثنين ٢٢ أكتوبر . وكأنا جاء هذا المؤتمر ليعيد المسمى للدينة الإسلامية العربية مجددا الثقافي القديم ، ويؤكد أنها ما تزال إلى اليوم مركزا ثقافيا جديرا بالاهتمام .

لقد كانت قرطبة أول مركز للثقافة العربية الإسلامية في الأندلس ، ولقد على ازدهارها الفكري طوال الفترة الأولى من الفتح الإسلامي . فلما قامت فتنة البربر في أواسل القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري - فلتت هذه الفتنة على ازدهار قرطبة وعمارتها ، فتفرق علماءها وشيوخها ومفكرها ، وانتشر ما كان في قصورها من ثغلى الكتب ، فكان ذلك عامل نهضة وازدهار فكري في سائر أنحاء الأندلس .

في هذه المدينة ، وفي صاها الثقافة فيها ، ظهر وتبلط عدد كبير من أبرز مفكري الأندلس وعلمائها وشيوخها ، من أمثال : إبن زيدون ، وإبن عبد ربه ، وإبن حزم ، وإبن رشد ، وإبن السيد ، وغيرهم . وعلى الرغم من مرور الزمن ، ومن نحرر استعابلى من كل حكم غرب ، لها ذات الأبعاد العربية والإسلامية تتحدث إلى الأجيال بلسان المظلة والخلود : من مسجدها القديم المكي ، ومن أسوارها وقصورها ولقائها العربية التي لم تستطع أيدي الزمن أن تمتد إليها بسوء ، وكذلك من الزخارف والتقوش في بيوتها الحديثة التي ما تزال متارة بالطابع العربي الصرف . وما يزال الآسيابي يتر إلى اليوم بتاريخه أندلسيته العربي ، وبأعلام العرب والمسلمين الذين نشأوا على أرضه ، فهم جزء من تاريخه ، ومن أجياله الطالعة . وهو عاى في تكريم أولئك الأعلام العرب الأندلسيين : يقيم لهم احتفاليات في الشوارع والساحات ، ويحتفل بذكرهم احتفالا يدل على الاعتزاز والفخر .

ولقد كان أحدث هذه التمثاليات تثال إبن رشد الذي الميم في قرطبة ، والذي كان سببا من أسباب عقد مؤتمر الدراسات الآسيوية العربية السادس أخيرا في مدينة قرطبة .

ولست أريد أن أتحدث الآن من مدينة قرطبة التي يبلغ عدد سكانها اليوم مئتي ألف نسمة ، ولا من الأرها الضخمة والإسلامية الفالدة ، ولا من نهرا العروى ، أو من مدينة الأزهر القريبة منها منذ سلط جيل المروى ، بل أتتلى بالحدث حسن مؤتمرها الثقافي الأخير .

هذا المؤتمر هو الحلقة السادسة من سلسلة الأبحاث الآسيوية العربية ، وقد اشتره في العمدة اليه : مديرتا الأبحاث العربية في مدريد ولرنافة ، والمعهد الثقافي الآسيابي العربي في مدريد ، ومعهد الدراسات الإسلامية في مدريد التابع لجمهورية العربية المتحدة . وقد عهد برئاسة المؤتمر إلى المستشرق الآسيابي لويس سيكودي لوينا

باريس ، وعهد بسكرتيرته المسمى زميله المستشرق منول أوكتافيا خيمينس ، الأستاذ في معهد الدراسات العربية في مدريد .

ولم يكن المؤتمر هذه المرة مقصرا على مجرد الأبحاث في الفكر الآسيابي العربي ، بل كان للفيلسوف العربي الأندلسي إيسن رشد نصيبه الكبير من أبحاث المؤتمر ، وكان من الحواضر الرئيسية على عقد المؤتمر في قرطبة ، وذلك بمناسبة إقامة تثال ضخم له في هذه المدينة . ولهذا كان عدد كبير قليل من معاصرات المؤتمر يدور على إبن رشد ، وفلسفته ، وأثاره الفكرية في العلوم ، وفي اللغة ، وعلى حياته كمفكر وسياسي وطبيب .

كانت حفلة الافتتاح في قاعة المسليسا في قصر القلوة لسيخين . وقد افتتح المؤتمر رئيس بلدية قرطبة ، فألقى كلمة ترحيب بالوفود المشتركة فيه أعرب فيها عن اعترازه واعتزاز قرطبة بعقد هذا المؤتمر فيها .

ثم كانت المحاضرة الأولى في القاعة فيها فريسي المؤتمر الأستاذ لويس سيكودي لوينا . وفي المساء نظمت للوفود جولة ليلية فيسي أحياء المدينة وحول أسوارها العربية .

في الأيام التالية كانت الجلسات تعقد في قاعة نادي الصحافة ، وفي كل جلسة كانت تلقى أربع محاضرات أو خمس . وألقى المحاضرات اللغيت باللغة الآسيابية ، وواحدة منها بالآسيابية ، ولغات محاضرات بالفرنسية . أما اللغة العربية فقد ألقى فيها أربع محاضرات فقط ، والذين اتوا هم : عبد الله تون (المغربي) وعيسى الشاوي (الأردن) وصعد بالزوين (ليبيا) وأنه ولد الله (موريتانيا) . وهناك الشان أخران من العرب أتلى أحدهما محاضراته بالآسيابية ، وهو الدكتور خالد الصوي (سوريا) وألقى الثاني محاضراته بالفرنسية ، وهو سليمان مصطفي زيسي (تونس) . ولقد اشتره في المؤتمر عدد كبير من المستشرقين ، وإلى جانبهم عدة مندوبين من الأقطار العربية .

وكان بين المستشرقين ملى الفرنسيين ، والأياليين ، والإنجليز ، والألمان ، إلى جانب الكثيرين من المستشرقين الآسياب .

كانت الجلسات تعقد في الساعة التاسعة صباحا ، ولستوحتى الواحدة ، أو بعدها بقليل ، بعد الظهر . وفي المساء كانت تتقسم للوفود حفلات استقبال ، أو ولام كبيرة ، أو جولات إلى هناك وهناك . ومن هذه الجولات واحدة في جامع قرطبة لتصويب الفالدة ، وأخرى إلى قلعة الحرة والجسر الروماني على الوادي الكبير ، وثالثة المسمى مزعة المتأدور الشهير (الألفي) أتيح لنا فيها أن نشهد مصارعة بسيفه مع ثلاثة مجيد من مجيد التندريب ، قام بها ثلاثة من الشبان العاملين تحت التندريب في مزعة الألفي . أما الزيارة الأخيرة فقد كانت إلى اطلال مدينة الأزهر ، في سلع جبل المروى .

بعد ظهر يوم الأحد في ٢٢ - ١٠ - ١٩٦٧ غرى المسير الكبي في قاعة نادي الصحافة شريطا سياحيا ملونا من قرطبة ، حضره رئيس البلدية وعدد من أعضاء الوفود ، كما حضره سكرتير السفارة السعودية وزميله سكرتير السفارة العراقية في مدريد . وفي نهاية العرض قدم سكرتير السفارة السعودية إلى رئيس البلدية عبارة عربية وأليسه أياها ، ولقمت أنا أيضا إليه هدية عربية أردنية تتألف من شماغ أحمر وعقال ، وأليسته أياها . وقد ألقى كلمة قصيرة ، وهو يرتدي هذا الألباس ، عبر فيها عن تقديره لوفدها لهذا العربية ، واعترازه أياها عربونا للصدافة التينة التي تربط بين العرب والآسيابا . وفي مساء ذلك اليوم حبه أقام رئيس البلدية حفلة مشاه كبرى تكريما للوفود ، وقد ذكر في الكلمة التي ألقاها على المائدة أنه يمتز بأنه يعمل أسرا عربا هو (دي قرمان) أي إبن قرمان . وإلى قرمان هو أشهر زجال غربي عرفه تاريخ الأندلس العربية ، وكان من قرطبة .

في آخر يوم من أيام المؤتمر - الاثنين ٢٢ - ١٠ - ١٩٦٧ - عقدت الجلسة الأخيرة في نادي الصداقة . وعند الظهر انتقلت الوفود كلها الى الساحة التي اقيم فيها فعلى ابن رشد ، حيث جرى احتفال رسمي كبير - على الرغم من المطر - بزيارة الستار عن التمثال . وكان الاحتفال برئاسة رئيس البلدية ، وبحضور رجال الحكومة المحلية ، والسفير الليبي ، وممثلتي السفارات السعودية ، والعراقية ، والبرتغالية الوجوديين . وقد عزفت فرقة موسيقى البلدية التشيد الوطني في بداية الاحتفال وفي ختامه ، وألقى رئيس البلدية كلمة عن ابن رشد الفيلسوف والعالم العظيم ، وأعرب عن اعتزاقه فرجة بأن يكون ابن رشد أحد أبطالها .

بعد الاحتفال انتقلت الوفود الى قصر الملكة الحسيني القريب ، لكي يكون ختام المؤتمر في قاعة الفسيفساء فيها التي تسمى فيها افتتاحه . وكانت الجلسة الختامية برئاسة رئيس البلدية ، وبحضور كل من اشتركوا معه في تدشين التمثال من الرسميين . واستمعت الوفود الى آخر محاضرات المؤتمر وكانت للدكتور حسين مؤنس . فلما انتهى منها نهض رئيس البلدية ، وشكر الوفود والمقامين على المؤتمر، وأعلن ختام أعمال المؤتمر رسمياً .

هذه خلاصة موجزة لأعمال المؤتمر خلال الأيام الثمانية التي عقد فيها . والتي لاقتاد أنه كان ناجحاً الى حد بعيد . والتي تشيد الاعتزاز بأنه كان له شرف المشاركة فيه ، وتمثيل بلدي فهي مؤتمر يكرم فيه أحد نوابغ امي العربية العظام هو ابن رشد . بعد أن انتهى مؤتمر فرجة هذا أنتحت في وزارة الاطلاء والسياحة الاسبانية فرصة للقيام بجولة في ربوع الاندلس زدت فيها غرناطة ، وملقة ، واسبيلية ، كما زدت فيها طليطلة ، والاسكوريال ، وشاهدت الانار العربية الخالدة التي تملأ النفس اعتزازاً بالاناسي الفرنسي الجيد ، بمقدار ما تملأ النفس ألام لحاضر الامة العربية . وليس هذا مجال الحديث عن هذه الجولة الاندلسية .

عمان - الاردن

فيسى الناعوري

التعليم المهني واهميته بالنسبة للبنان

بقلم الدكتور جميل جبر

لقد اصبح للتعليم المهني ، في مختلف حقوله ، شأن بارز في عصرنا . ولا عجب فالتصنيع مبزأ التطور في هذا الزمن . واكثر البلدان نمواً هي اكثرها تصنيماً اي اكثرها استخداماً للالات في اعمالها الانتاجية .

والصنيع يقوم على ثلاثة عناصر رئيسية : رأس المال ، العنصر البشري المهيأ والاسواق . وربما كان العنصر البشري المدرب للعمل تخطيطاً وتوجيهاً وتنفيذاً هو الأهم ، لان رأس المال يتوافر لكسب لمشروع ثبتت مردوديته وقابليته للتقدم ولان الاسواق الخارجية تتأثر بالمنافسة التجارية نوعاً وسرعاً ، وللادارة دورها الكبير في تسهيل المهمة عن طريق الحماية فسي تنقلة الانطلاق والمفاوضات الاقتصادية في سائر المراحل .

اما المادة الأولية او الخام فلا تبدو ، على اهميتها ، عنصراً رئيسياً بدليل ان السدول الصناعية الكبرى ، باستثناء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، تعتمد على استيراد هذه المواد . فالتكتل التي اشتهرت بصناعة النسيج تستورد كل موادها الخام من الخارج لثم تصدرا ناجة الصنع .

وفي هذه الوقائع رد على سؤال فيه شك بإمكانية التصنيع في لبنان لقلة المواد الأولية فيه .

معلوم ان تربة اسرائيل ليست باغنى من تربة لبنان ومع هذا استطاعت ان تطور صناعاتها وتصنيعها الزراعي الى مدى بعيد .

وقد علمتنا المحنة الأخيرة ان التفسيق الصناعي عامل مهم في تقرير مصائر الشعوب فكيف السبيل للمسير الصاعد فسي نهج تصنيمي يلائم مقتضياتنا الحياتية .

ان القضية بالنسبة الى لبنان هي قضية عنصر بشري متخصص ليس على مستوى المهندسين بل على مستوى ملاكات التنفيذ من معاوني مهندسين ورؤساء ورش ووكلاء وعمال مدرسين ومزارعين مدرسين ، أي على مستوى المتخرجين من مدارس التعليم المهني الذي يشمل الزراعة .

لا شك ان الاقبال على التعليم المهني آخذ بالازدياد لا سيما بعد ان انشأت الدولة بعض المدارس العمصرية في مختلف المحافظات . لكن هذا الازدياد يبدو بطيئاً بالنسبة للمتطلبات ، فهو ما زال عاجزاً عن تلبية الحاجة الحائرة

لتكليف لوتكاليف التصنيع ، وهو ما ترجحه فسي نكسر اقتصادنا على قواعد ثابتة وفي اقامة بعض التوازن بين عناصر دخلنا القومي فترفع مسلسل الصناعة المنخفض جدا (١٢ ٪) .

حسنتات هذا التعليم

ومن حسنتات التعليم المهني انه يخفف الضغط عن التعليم الثانوي والجامعي توجهاً الى المن الحرة ، وهذا التعليم الذي يهدد باتزمة بطالة خطيرة ويجعل مردوده اقل من كلفته طارحاً قضية الانفاق فسي سبيله على بساط البحث من حيث انتاجيته وجدواه .

الكثيرون من حملة البكالوريا يسعون الى وظيفة ادارية باجر شهري يقل عن اجر العامل الامي ومنهم من لا يحالفه الحظ فيبقى عالة على المجتمع . بينما العامل المهني المتخصص زراعياً او صناعياً يكسب شعفي هذا الاجر ووكيل الورشة او معاون المهندس اضمانه فضلا عن ان هؤلاء لا يضطرون دالماً بحكم اعمالهم الى السكن في المدن المكتظة بالموظفين نظراً لتركز الادارات والمؤسسات الكبرى فيها ولا يتكبدون مصاريف باهظة للايجار اذ يقطعون الضواحي والقرى التي تقفر يوماً

فيوما .

التعليم المهني يساعد اذن على نهضة القرية اللبنانية وقد يحل مشكلة انصاف المتعلمين وحسبى خريجي الجامعات الفائضين عن حاجات البلاد . وفوق هذا يؤثر على التطور الاقتصادي وزيادة الدخل من طريق تعزيز الصناعة والزراعة للتشجيع بدورهما تنميان التجارة والخدمات العامة .

وللتعليم الزراعي بما فيه تربية المواشي والدواجن اهميته الخاصة بالنسبة الى لبنان لان نصف سكانه يعيشون على الزراعة التي لا يكاد يتجاوز معدلها بالنسبة للدخل القومي العام ١٥ ٪ وقد كان هذا المعدل قبل ١٣ سنة حوالي ٢٠ ٪ .

وتعود سآلة هذه النسبة الى قلة الاختصاص والدربة مما يجعل استثمار الارض زراعي اذنى بكثير من حده الأقصى كما يهبط بمستوى النوعية في الانتاج ، ولا تختلف الحال عن ذلك في تربية المواشي والدواجن . فحيدا لو نشأت في كل منطقة مدرسة زراعية وصناعية رسمية كانت ام خاصة ، تدرب على احداث الاساليب والوسائل . ولا نعلم سرا لو قلنا ان في اسرائيل مشة ومدرستين بين مهنية وزراعية تمول معظمها مؤسسات خاصة .

المعمل اليدوي

يقال ان اللبناني لا يحب العمل اليدوي ويؤثر عليه العمل العقلي حتى لو نال منه نتيجة اذنى . والواقع ان الانسان ، بطبيعته ، عدو لما يجهل . والمسؤولية هنا تقع ، الى حد كبير ، على طريقة التعليم فسي المدارس العامة ، لان الطالب يكاد يجهل كل شيء عن الحرف والمهن والصناعات والزراعات والتربية الحيوانية فسي الصفوف الابتدائية والثانوية بينما البلدان المتطورة تدخل في برامجها التعليمية دروسا خاصة للتعريف والتجيب بمختلف الحقول المهنية التي يمارس فيها العمل اليدوي فضلا عن المشاغل والمحترفات التي تجاور المدارس والتي يؤمها الطلاب على سبيل الهواية والاختبار فيتم فيهم الميل الى « التفرجحية » Bricolage مرحلة التدرج الى المهن .

ثم ان التعليم عندنا ما زال نظريا في معظمه بينما هو في المفهوم المصري يجري اكثره في المختبر وفي قلب الطبيعة فيفسح للطلاب مجال ممارسة العمل اليدوي فيجبه ويحترمه .

بعد هذه المرحلة التمهيدية التي يتعرف فيها الطالب من قريب الى سائر المهن يبدأ طور التوجيه المهني والاختيار بواسطة اساليب البسيكوتكنيك والسير النفساني فينصرف بعضهم حسب كفاءاته الى التعليم

الجامعي واليمضى الاخر الى المهن التي قد يبرع فيها . وفي سبيل اثارة نهضة فعالة في التعليم المهني لا بد من تضافر جهود الدولة والبلديات والمؤسسات الخاصة بحيث تنشأ المدارس الاولى بعد الشهادة الابتدائية ، والثانوية بعد الشهادة التكميلية التي تعطي بكالوريا تقنية .

ان شان التعليم المهني خطير بالنسبة للبنان ولا سيما في هذه المرحلة التي تنوب فيها البلدان العربية جمعا الى النهوض العلمي والتقني على اسس وظيفية حديثة تلبى مقتضيات التطور .

جميل جبر

تمويل التعليم في لبنان

من النتائج المباشرة للإبطاء في وضع خطة تنمية اقتصادية واجتماعية طويلة المدى في لبنان ، اننا لا نملك بعد خطة تربوية جذيرة بهذا الاسم . فالخطة التربوية توضع في ضوء الخطة الاقتصادية والاجتماعية ، ومن الاهداف الوطنية في الانتاج والتوزيع تنسحب اهداف النظام التعليمي وتحدد حاجات البلد لاعداد السكان في كل مرحلة من مراحل التعليم وفي كل نوع من انواع الكفاءات التي ينتجها النظام التعليمي . وتكون كلفة الخطة التربوية هي قيمة الاتفاق اللازم لتأمين تلك الحاجات .

وفي غياب الخطة التربوية ، يمكن اعتبار الاتفاق الفعلي على التعليم مقدارا ما يبدل من جهد على التعليم . فقد بلغت اعتمادات وزارة التربية الوطنية في مشروع الموازنة الاخير حوالي ١٠٥ مليون ليرة ، اي ما يصل الى حوالي ١٥ بالمائة من مجموع الموازنة . وتعتبر هذه النسبة من اعلى النسب في العالم كما يتبين من الجدول التالي المأخوذ من بيان الكتب الدولي للتربية في جنيف عن النسبة المئوية المخصصة للتعليم في موازنات بعض الدول في السنوات الاخيرة :

سوريا	١٨ ٪	افغانستان	١٥ ٪
مصر	١٣	لبنان	١٥
تركيا	١١	روديسيا	١١
اليابان	١٠	السويد	٩
بلجيكا	٨	اسبانيا	٨
فرنسا	٨	يوغسلافيا	٨
بريطانيا	٦	الولايات المتحدة	٢

ويجدر بالذكر ان هذه النسب قد تؤدي الى الخطأ

إذا اعتبرت وحدها ، لأن الاتفاق على التعليم لا يقتصر على ما يخص في موازنة الدولة العامة في كثير منها ، بل يتمدها إلى ما يخص في موازنات الإدارات المحلية في بعضها وإلى اتفاق القطاع الخاص في معظمها . لذلك قد تكون نسبة الإنفاق العام والخاص إلى الدخل الوطني أكثر صدقا في تمثيل الجهد الإجمالي على التعليم . ولا تتوفر لدينا احصاءات دقيقة عن اتفاق القطاع الخاص على التعليم في لبنان . ولكن بعض الأرقام قد تمكننا من الوصول إلى تخمين له .

فقد بلغ التوزيع التقريبي للتلازمة والطلاب بين مدارس ومؤسسات القطاع العام ومدارس ومؤسسات القطاع الخاص ما يلي :

قطاع عام	قطاع خاص
الابتدائي على أنواعه	١٨٠.٠٠٠
الثانوي	١١.٠٠٠
الجامعي	٦.٠٠٠
	٢٦٧.٠٠٠

فإذا أخذنا بعين الاعتبار ما يلي :

— أن كلفة التلميد الابتدائي في القطاع الخاص أقل بكثير من كلفة التلميد الابتدائي في القطاع العام .

— أن التعليم الجامعي في المؤسسات العامة لا يشمل على الطلاب ذات التكاليف الباهظة (الطب ، الهندسة ..)

امكننا التخمين بأن اتفاق القطاع الخاص على التعليم في لبنان يفوق اتفاق القطاع العام (١٠٥ مليون ليرة) وقد يبلغ ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ مليون ليرة في السنة . وهذا ما يجعل مجمل الاتفاق على التعليم في لبنان (حوالي ٢٥٠ مليون ليرة) يبلغ حوالي ٨ إلى ٩ بالمئة من الدخل الوطني . وهي نسبة مرتفعة جدا ، قد تكون بين أعلى النسب في العالم . كما يظهر من الجدول التالي الذي يبين النسبة المئوية المخصصة للتعليم من الدخل الوطني في بعض البلدان :

سوريا	٣ ٪	بريطانيا	٣ ٪
مصر	٢٥	بلجيكا	٣
تركيا	٢	اسبانيا	١
اليابان	٤٥	فرنسا	٢٥
السويد	٣٥	الولايات المتحدة	٣

ويجب ألا تكون هذه النسبة المرتفعة من الدخل الوطني التي تنفقها على التعليم سببا للتعادي في الرضى عن النفس ، فكلنا يعرف أننا ما زلنا بعيدين عن الوصول إلى كل غاياتنا من نظامنا التعليمي ، وقد يكون تفسير ارتفاع النسبة في أحد الأسباب التالية :

أولا — تقدير منخفض للدخل الوطني .

ثانيا — ارتفاع في كلفة التعليم في لبنان نرى بعض مظاهره في فتح مدارس كثيرة تعجز عن اجتذاب العدد الملحوظ لها من التلاميذ ، وفي تراكم أعداد كبيرة من المعلمين في مناطق محدودة ، وفي الإيجارات العالية التي تدفع دون النظر إلى كلفة الخدمة الحقيقية ولا اعتبارات غير تربوية .

ثالثا — عدد السكان قد يكون أقل من العدد الأمثل بالنسبة لكلفة التعليم ، مما يزيد كلفة التجهيزات الأساسية التي يضطر إلى حملها النظام التعليمي ويرفع كلفة تعليم الفرد .

ورغم هذه الكلفة المرتفعة للتعليم في لبنان ، فإنه يواجه كثيرا من المشاكل يقتضي حلها اتفاقا أكبر . فوزارة التربية الوطنية لا تكفي بموازنتها التي تتزايد بمعدل يقرب من ١٠ بالمئة في السنة ، وتطلب باستمرار زيادة اعتماداتها حتى يوسائل غير طبيعية مثل (رسم العلم) الذي يتروى الحديث عنه بين فترة وأخرى من أجل تحقيق مشروعين اثنين من مشاريعها : تعميم التعليم الابتدائي ونشر التعليم الثانوي .

والواقع أن لبنان ، شأن معظم البلدان النامية ، يواجه مشكلات متعددة تحتاج إلى تمويل ، ويتمتع عليه حلها في السنوات القادمة . من أهم هذه المشاكل تعميم التعليم الابتدائي المجاني ، زيادة سنوات التعليم الإلزامي ، تحسين نوعية التعليم في المراحل التكميلية والثانوية ، زيادة الاهتمام بالتعليم الفني والمهني (صناعي ، تجاري ، زراعي ، سياحي) ، التوسع في التعليم العالي وفق حاجات الأنماط الاقتصادية والاجتماعية ، أعداد المعلمين والمعلمات ، العناية بالبحوث والدراسات التربوية ، تشجيع البحث العلمي .

ونحن نعلم أن هذه المهام ذات بعدين : الأول اتقي يتوقف على ازدياد عدد السكان الذي ينتج زيادة طبيعية في عدد الأرواد في السن الدراسية تبلغ حوالي عشرة آلاف ولد في السنة . والثاني عمودي يتوقف على نوعية التعليم الذي نريده لابنائنا فسي مرافحه الابتدائية والثانوية والجامعية ، ويتحدد إلى مدى كبير بالتعاون الذي نتاجه من عسود تميز بالتفوق في التجهيز البشري ، وبالتطلع الحضاري الطموح الذي تتميز به .

وهذا ما يجعل عبء التمويل في حقل التعليم أكبر ويتطلب إعادة النظر في النظام التربوي فسي ضوء الاعتبار التالية :

أولا — تلازم النظام التربوي مع أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ثانيا — القضاء على كل اتفا غير مجز ، بحيث لا تحمل مواردنا كلفة أكبر من الكلفة اللازمة ولا تصل إلى مردود أقل من المردود المرفوب .

استفيدوا الآن من التعرفة العائلية الخاصة في رحلاتكم في الشرق الأوسط تخفيض ٥٠٪



ينسح هذا التخفيض بالشروط الآتية:

- ١ - يجب ان تم الرحلة بكاملها بالدرجة السياحية وفي المدة المبرمجة
تخطف الشرق الأوسط (السفن والبراق والاربعون والكرت ولبنان
وقطر والمملكة العربية السعودية والبرمان وسوريا والجزيرة العربية
البحرين واليمن).
- ٢ - يجب ان يدفع الزوج (أو الزوجة) بصفته وب العائلة التكلفة العادية
لعابا وإلّا بالدرجة السياحية.
- ٣ - الزوجة (أو الزوج) سبب الحاقه الزائفة والارلاء من ١٢ الى
٢٦ سنة يدفعون ٥٠٪ فقط من التكلفة العادية الكاملة لعابا وإلّا
بالدرجة السياحية.
- ٤ - يجب ان تم الرحلة بأقلها خلال المدة من ١٥ لشون الاراء الى ١٥
آذار. يحق لرب العائلة وحده استعمال قسيمة العودة من تذكرته
خلال مدة سريان مفعولها العادية.

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية يقدم لكم كل اسبوع ٥٠٠٠ مقعد
على متن طائراته من بيروت الى بلدان الشرق الأوسط.

للاستعلامات وتجهيزات السفر استأجروا وتكوين
شتمتو بالكم للمستهلكات "إيتاسا" أو

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية



كلمة الجرم متفرج ليوثو وأخباراً - تلفون ٢٩٢٢٠٠ - (١٠ خطوط)
كلمة بيع التذاكر - باب دريس - تلفون ٢٩٢٤٠٠ (٣٠ خطاً) - يكرس البضائع على جميع الخطوط